القواعد العقدية المستنبطة
من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية
في توحيد الألوهية

✍ إعداد الباحثة

أمل ظافر محمد القرني

درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية ـ تخصص العقيدة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة الملك عبد العزيز

amal55797@gmail.com

القواعد العقدية المستنبطة من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في توحيد الألوهية

أمل ظافر محمد القرني
قسم العقيدة –كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبد العزيز — الرياض– السعودية.
البريد الإلكتروني: amal55797@gmail.com

الملخص :

هدف البحث القواعد العقدية المستنبطة من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في توحيد الألوهية، واعتمد البحث على استقراءُ كُتب شيخ الإسلام ابن تيمية، واستخراجُ ما يتعلَّق بأصول توحيد الألوهية وقواعده، والصعوبات التي واجهتْني، والتعريف بمفاهيم البحث، وفيه: أهمية التأصيل والتقعيد في العلوم، وخاصَّةً العقيدة، وتعريف توحيد الألوهية، وأهميةُ توحيد الألوهية، والثِّمارُ المترتِّبة على تحقيقه، وترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية، والأصول والقواعد المستنبَطة من كلام ابن تيمية، والمتعلِّقة بعقيدة أهل السنَّة والجماعة في توحيد الألوهية، وشرح معنى توحيد الألوهية، وبيان أهمِّيته، وآثاره عند ابن تيمية، والقواعد المستنبَطة من ذلك، ومنهج الاستدلال على توحيد الألوهية عند ابن تيمية، والقواعد المستنبَطة من ذلك، ونواقض توحيد الألوهية. والخُلاصةُ المادَّة البحثية، والنتائج والتوصيات المقترحة، وكان من أبرز النتائج ما يلي: أن الألوهية في المعنى اللغوي تعني عبادة الله وحده، ولذا فإن معنى الإله المستحق للعبادة، أن ابن تيميه اعتمد في تعريفه لتوحيد الألوهية على الكتاب والسنة، أن جميع الأمة والسلف الصالح أجمعوا على أن مدلول توحيد الألوهية أن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، أن من حقق توحيد الألوهية فله المنزلة والمكانة العظيمة عند الله، أن الاستدلال على توحيد الألوهية قد يكون بالقرآن أو السنة أو بالآيات الكونية ، وقد تكون بالأمثلة أو الأدلة العقلية، أن توحيد الألوهية هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره، أن الإقرار بالصانع أمر جبلت عليه فطرة الإنسان، وما كان غير ذلك فهو من نتاج فساد الفطرة، آن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، من أشهر الأدلة العقلية على توحيد الألوهية هو دليل التمانع في الربوبية، أن أعظم ناقض للتوحيد هو الشرك بالله، أن الشرك في توحيد الألوهية قد يكون في الأعمال كالحج والنذر والذبح وغيرها، وقد يكون في الاعتقاد كالمحبة والخوف

والرجاء وقد يكون في الأقوال كالاستغاثة والاستعانة بغير الله.

الكلمات المفتاحية: القواعد العقدية – ابن تيمية – الاستدلال – الاستنباط – توحيد الألوهية – الشرك بالله.



The doctrinal rules drawn from the books of Sheikh al-Islam Ibn Taymiyyah in unifying divinity

Amal Dhafer Mohammed Al-Qarni

Department of Creed , **College of Arts and Humanities** , **King Abdulaziz University**, **Riyadh** , **Saudi Arabia**.

Email: amal55797@gmail.com

Abstract:

The aim of the research is the doctrinal rules drawn from the books of Shaykh al-Islam Ibn Taymiyyah in unifying divinity, and the research relied on extrapolating the books of Shaykh al-Islam Ibn Taymiyyah, and extracting what related to the principles of unification of divinity and its rules, the difficulties that faced me, and defining the concepts of research, and in it: the importance of rooting and sourcing in science, especially: Doctrine, the definition of unification of divinity, the importance of unifying divinity, the fruits of its realization, a brief translation of Sheikh Islam Ibn Taymiyyah, the origins and rules drawn from Ibn Taymiyyah's words, related to the doctrine of the Sunnis and the community in unifying divinity, and explaining the meaning of unifying divinity A deity, a statement of its importance, its effects on Ibn Taymiyyah, the rules derived from that, and the method of inference to unify the deity of Ibn Taymiyyah, and the rules derived from That, and the antagonists of the unification of divinity. In summary, the research article and the proposed

results and recommendations. Among the most prominent results were the following: that deity in the linguistic meaning means worshiping God alone, and that is why the meaning of God who is worthy of worship, that Ibn Taymiyya relied in his definition to unify divinity on the book and the Sunnah, that all the nation and the righteous ancestors gathered together However, the significance of the unification of divinity is that God is worthy of worship alone and has no partner, that who has achieved the unification of divinity has status and great standing with God, that the inference to unify divinity may be in the Qur'an, Sunnah, or universal signs, and it may be with examples or mental evidence, that unification Divinity is s The core of faith And the first of Islam and the end of it, that acknowledging the maker is something that human instinct has been overlooked, and what was otherwise is a product of the corruption of instinct. The greatest contradiction to monotheism is polytheism in God, that polytheism in monotheism may be in actions such as Hajj, vow, slaughter, etc., and may be in belief such as love, fear, and hope, and may be in words such as seeking help and seeking help from God.

Keywords: Doctrinal Rules – Ibn Taymiyah – Inference-Inductivity - Monotheism – Polytheism.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلام على رسول الله، نبيِّنا محمدٍ الذي بُعث بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا، وعلى آلِه وصحْبِه، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ..

فإنَّ الله ـ تعالى ـ أرسل رسولَه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتوحيد وجعله رأسَ الأمر، وبيَّن في محْكَم تنزيله أنه الغايةُ التي لأجْلها خَلق الخَلْقَ، وأنزل الكُتبَ، وأرسل الرُّسُلَ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال كذلك: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥].

فهذا التوحيدُ ـ أعني توحيدَ العبادة ـ هو الذي لأجْله خَلق اللهُ الجنّ والإنسَ، ولأجْله أَرسَل الرُّسُلَ وأنزل الكُتُبَ، وهو أوَّلُ دعوة الرُّسُل وآخِرُها، وفيه قامت الخصومةُ بين الأنبياء وأتباعهم مِن جهة وبين أهْل الشَّرِّ ومَن تابَعهم من أهل البِدَع والخرافات مِن جهةٍ أخرى.

وتوحيدُ الألوهية هو مضمونُ كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» التي جاء بها خاتَمُ الأنبياء والمرسلين محمدٌ ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ودعا إليها قولًا واعتقادًا وامتثالًا، وجاهَد فيها النَّاسَ حتى استقاموا عليها، ومضى على ذلك زمنُ الصحابة في عهد أبي بكر وعُمر وعثمان، وفي أواخر عهْد عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدأت البِدَعُ تُطِلُّ برأسها لأسبابٍ كثيرةٍ ليس هذا محلَّ بيانها، ولكنْ مِن أهمِّها الفتنُ الواقعة في عهد عليٍّ، وخُروجُ الخوارج، ودخولُ كثير من الناس في الإسلام دون أنْ يَتلقَّوُا التربيةَ على الإيمان والتوحيد، فكانت سببًا في قَبُولهم ما ظهر مِن انحرافاتٍ؛ خاصَّةً في باب التوحيد، ومِن أشهر هذه البِدَع والانحرافات المتعلِّقةُ بتوحيد الألوهية.

وتتابَع الأئمَّةُ على إنكار ما يُحدِثه الناسُ من البِدَع والأقوال المنحرفة عن

السنَّة جِيلًا بعد جِيل، وعُرف منهم ابنُ سِيرين(١)، والحسن البصري(٢)، وسفيان الثوري(٣)، وأبو حنيفة، ومالكٌ، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم كثير.

---

(١)ابن سيرين: هو لإمام، شيخ الإسلام، أبو بكر الأنصاري، الأنسي البصري، مولى أنس بن مالك، خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان أبوه من سبي جرجرايا تملكه أنس، ثم كاتبه على ألوف من المال، فوفاه وعجل له مال الكتابة قبل حلوله، فتمنع أنس من أخذه لما رأى سيرين قد كثر ماله من التجارة، وأمل أن يرثه، فحاكمه إلى عمر - رضي الله عنه - فألزمه تعجيل المؤجل، قال أنس بن سيرين: ولد أخي محمد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وولدت بعده بسنة قابلة، سمع أبا هريرة، وعمران بن حصين، وابن عباس، وعدي بن حاتم، وابن عمر، وعبيدة السلماني، وشريحا القاضي، وأنس بن مالك، وخلقا سواهم، روى عنه: قتادة، وأيوب، ويونس بن عبيد، وابن عون، وخالد الحذاء، وهشام بن حسان، وعوف الأعرابي، وقرة بن خالد، ومهدي بن ميمون، وجرير بن حازم، وأبو هلال محمد بن سليم، ويزيد بن إبراهيم التستري، وعقبة بن عبد الله الأصم، وسعيد بن أبي عروبة، وأبو بكر سلمى الهذلي، وحيان بن حصين، وشبيب بن شيبة، وسليمان بن المغيرة، وخليد بن دعلج.

انظر: سير أعلام النبلاء، الجزء الرابع، الطبقة الثانية، ص٦٠٦.

(٢) الحسن البصري: هو هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي، قاله عبد السلام أبى مطهر، عن غاضرة بن قرهد العوفي، ثم قال: وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، ويقال: كان مولى جميل بن قطبة، ويسار أبوه من سبي ميسان سكن المدينة وأعتق، وتزوج بها في خلافة عمر، فولد له بها الحسن - رحمة الله عليه - لسنتين بقيتا من خلافة عمر واسم أمه خيرة، ثم نشأ الحسن بوادي القرى، وحضر الجمعة مع عثمان، وسمعه يخطب، وشهد يوم الدار وله يومئذ أربع عشرة سنة، قال حجاج بن نصير: سبيت أم الحسن البصري من ميسان وهي حامل به، وولدته بالمدينة، وقال سويد بن سعيد: حدثني أبو كرب، قال: كان الحسن وابن سيرين موليين لعبد الله بن رواحة، وقدما البصرة مع أنس، قلت: القولان شاذان، قال محمد بن سلام: حدثنا أبو عمرو الشعاب بإسناد له، قال: كانت أم سلمة تبعث أم الحسن في الحاجة، فيبكي وهو طفل، فتسكته أم سلمة بثديها وتخرجه إلى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو صغير، وكانت أمه منقطعة إليها، فكانوا يدعون له، فأخرجته إلى عمر فدعا له، وقال: اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس.

انظر: سير أعلام النبلاء، الجزء الرابع، الطبقة الثانية، ص٥٦٤.

(٣) سفيان الثوري هو: بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وكذا نسبه ابن أبي الدنيا عن محمد بن خلف التيمي، غير أنه أسقط منه منقذا والحارث، وزاد بعد مسروق حمزة، والباقي سواء . وكذلك ذكر نسبه الهيثم بن عدي، وابن سعد، وأنه من ثور طابخة، وبعضهم قال: هو من ثور همدان، وليس بشيء، هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد =

وفي القرن السابع برز الإمام شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في وقتٍ كانت فيه الانحرافاتُ الشِّركية في أَوْجِ قوَّتها وانتشارها، فتصدَّى لها رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيمَن تصدَّى من أهل العلْم بالسنَّة، لكنَّ شيخ الإسلام كان الأبْرز والأقوى، حتى شكَّلتْ فتاواه وكُتبه مرجعيَّةً لمن بَعده، وأثرى بذلك المكتبة الإسلامية.

ومن هنا استخرتُ الله - تعالى- واستعنتُه أن يكون موضوعُ بحثي في رسالة الماجستير هو: استخلاصَ الأصول والقواعد التي بَنى عليها أهلُ السنَّة منهجَهم في توحيد الألوهيَّة، مِن خلال كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومؤلَّفاته. وأسأل اللهَ - تعالى - التوفيقَ والسَّداد.

أسباب اختيار الموضوع وأهميَّته:

١. أهمية توحيد الألوهية، وكونُه أجلَّ ما جاءت النصوصُ بتعظيمه والعناية به.

٢. الحاجة إلى بيانِ التوحيد بكلِّ الوجوه، وتأكيدِه وتثبيتِه في نُفوس الخَلْق.

٣. ما حصل في توحيد الألوهية من الانحرافات والبِدَع والأخطاء، ممَّا احتاج إلى بيان الحقِّ وإبطالِ الباطل.

هدف البحث:

جمعُ الأصول المنهجية التي أصَّلها ابن تيمية لبيان توحيد الألوهية، وشرح هذه الأصول والقواعد باختصارٍ، وبيانُ تطبيقاتها.

منهج البحث:

١. استقراءُ كُتب شيخ الإسلام ابن تيمية، واستخراجُ ما يتعلَّق بأصول توحيد الألوهية وقواعده.

٢. ترتيبُ الأصول والقواعد المستفادة من كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حسَب الخُطَّة.

=العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد، مصنف كتاب " الجامع."، ولد سنة سبع وتسعين اتفاقا، وطلب العلم وهو حدث باعتناء والده، المحدث الصادق: سعيد بن مسروق الثوري، وكان والده من أصحاب الشعبي، وخيثمة بن عبد الرحمن، ومن ثقات الكوفيين، وعداده في صغار التابعين . روى له الجماعة الستة في دواوينهم، وحدث عنه أولاده: سفيان الإمام، وعمر، ومبارك، وشعبة بن الحجاج، وزائدة، وأبو الأحوص، وأبو عوانة، وعمر بن عبيد الطنافسي، وآخرون . ومات سنة ست وعشرين ومائة.
انظر: سير أعلام النبلاء، الجزء السابع، الطبقة السابعة، ص٢٣٠.

٣. شرح الأصول والقواعد بشكلٍ مُختصَر، وبيانُ مناسبةِ ورودها والغايةِ منه.

٤. ترتيبُ المادَّة العلمية وتقسيمُها على فصول وَفْقًا للموضوعات الرئيسية، ثم تقسيمُها إلى مباحث، وتقسيمُ المباحث إلى مطالبَ حسَب الحاجة.

٥. توثيق النقول والاقتباسات بعَزْوها إلى مصادرها الأصلية التي أخذ منها الشيخ.

٦. كتابة الآيات القرآنية بالرَّسم العثماني، وتوثيقُها بجوار الآية مباشرةً، بذِكْر اسم السورة ورقم الآية.

٧. وضعُ نصوص الأحاديث الشريفة بين قوسَي تنصيص هكذا «...»، مع تحبيرها؛ تمييزًا لها عن غيرها من الآثار والأقوال الأخرى، وتخريجُ الأحاديث الشريفة في الهامش من مصادرها الأصليَّة، وبيانُ ما ذكرهُ أهلُ الشَّأن في درجتها - إنْ لم تكن في الصَّحيحين أو أحدِهما، فإنْ كانت كذلك فيُكتفى حينئذٍ بتخريجها منهما أو مِن أحدهما.

٨. توثيقُ الآثار والأقوال المنقولة بوضْعها بين علامتي تنصيص هكذا «....» من دون تحبير، مع نِسْبَتِها لأصحابها، وتوثيقُ الاقتباسات بطريقة التوثيق غير المباشر؛ وذلك بذكْر اسم الكتاب ومؤلِّفه، والجُزء والصفحة، في الهامش، مع ذكْر معلومات المرجع كاملةً عند أوَّل وُرودٍ له في البحث.

٩. ترجمة الأعلام المذكورين في البحث بإيجاز، غير أنِّي لن أُترجِم للمشهورين؛ وهُم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والأئمَّةُ الأربعة رحمهم الله.

الدراسات السابقة:

تطرَّق كثيرٌ من الباحثين إلى توحيد الألوهية عند شيخ الإسلام، لكني لم أَقِفْ على من خصص رسالة كاملة في استنباط الأصول والقواعد من توحيد الألوهية وقضاياها، ممَّا شجَّعني على استخلاصها من كُتب شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأهميتها في ترسيخ عقيدة المؤمن، وردِّ شُبهات المخالفين لأهل السنَّة، ولتسهيل فَهْم كلام شيخ الإسلام في هذه المسائل عبر إعادتها إلى أصولٍ وقواعدَ مختصَرةٍ ومنضبِطةٍ.

خطة البحث:

قُسِّم البحثُ إلى: مقدِّمة، وتمهيد، وفصلَين، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدِّمة وتشتمل على أسباب اختيار الموضوع، وأهمَّيته وأهدافه، والدراسات السابقة، والصعوبات التي واجهتْني.

المبحث الأول: التعريف بمفاهيم البحث، وفيه:

- المطلب الأول: أهمية التأصيل والتقعيد في العلوم، وخاصَّةً العقيدة.
- المطلب الثاني: تعريف توحيد الألوهية.
- المطلب الثالث: أهميةُ توحيد الألوهية، والثِّمارُ المترتِّبة على تحقيقه.
- المطلب الرابع: ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية.

المبحث الثاني: الأصول والقواعد المستنبَطة من كلام ابن تيمية، والمتعلِّقة بعقيدة أهل السنَّة والجماعة في توحيد الألوهية، وتحته ثلاثةُ مطالب:

- المطلب الأول: شرح معنى توحيد الألوهية، وبيان أهمِّيته، وآثاره عند ابن تيمية، والقواعد المستنبَطة من ذلك.
- المطلب الثاني: منهج الاستدلال على توحيد الألوهية عند ابن تيمية، والقواعد المستنبَطة من ذلك.
- المطلب الثالث: نواقض توحيد الألوهية.

الخاتمة: وفيها خُلاصةُ المادَّة البحثية، وأهمُّ النتائج والتوصيات المقترحة.

المبحث الأول: التعريف بمفاهيم البحث

المطلب الأول: أهمية التأصيل والتقعيد في العلوم وخاصَّةً العقيدة

مِن محاسن الشريعة الإسلامية وكمالها وجلالها أنَّ أحكامها الأصولية والفروعية، والعبادات والمعاملات، وسائرَ أمورها، لها ضوابطُ وأصولٌ وقواعدُ تَضبط أحكامَها، وتَجمَع متفرِّقاتِها، وتَنشُر فروعَها، وتَردُّها إلى أصولها؛ فهي مبنيَّةٌ على الحكمة والصلاح والهُدى، والرَّحمة والخير والعدل، ونفْي أضْداد ذلك[1].

ومِن هنا أدرك العلماءُ أهميةَ التأصيل والتعقيد، خاصَّةً بعد أن تَفرعَّت العلومُ وتَشعَّبت المسائلُ وكثُرتْ وتشابهتْ، وأدركوا أيضًا أنَّ السبيل إلى ضبط جُزئيَّات الشريعة وفروعها لا يكون إلا بمعرفة الأصول الكُلِّية التي تَرجع إليها هذه الجزئيَّاتُ، وجمعِ المتشابه منها في قواعدَ تَضبطها وتُظهر مَواطنِ التشابه والاختلاف بين المسائل والأبواب.

كما أنَّ تأصيلَ الأصول والقواعد ومعرفتَها أكبرُ مُعينٍ على حفظِ العلم وضبطه وحُسن البناء عليه.

يقول الإمامُ الزركشي[2]: «فإنَّ ضبْط الأمور المنتشرة المتعدِّدة في القوانين المتَّحدة، هي أَوْعى لِحفظِها وأدعى لضبطها، وهي إحدى حِكم العدد التي

---

(١) الرياض النضرة، ضمن المجموعة الكاملة لابن السعدي، (٥٢٢/١).
(٢) الإمام الزركشي هو: الشيخ المعمر مسند العراق أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن يوسف بن أزرتق التركي الكاشغري ثم البغدادي الزركشي، ولد سنة أربع وخمسين، وسمع من أبي الفتح بن البطي، وأحمد بن محمد الكاغدي، وعلي بن تاج القراء، وأحمد بن عبد الغني الباجسرائي، ويحيى بن ثابت، وأبي بكر بن النقور، ونفيسة البزازة، وهبة الله بن يحيى البوقي، وجماعة، وطال عمره، وبعد صيته، وقد حدث بدمشق وحلب في سنة إحدى وعشرين وستمائة، ورجع إلى بغداد وبقي إلى هذا الوقت، وتكاثر عليه الطلبة، حدث عنه ابن نقطة، والبرزالي، والضياء، وابن النجار، والمحب عبد الله، وموسى بن أبي الفتح، وعبد الرحيم بن الزجاج، ومحيي الدين يحيى بن القلانسي، والمدرس كمال الدين إبراهيم بن أمين الدولة، وتقي الدين بن الواسطي وأخوه، وعز الدين بن الفراء، والتقي بن مؤمن، ومجد الدين بن العديم، وفتاه بيبرس، ومحيي الدين بن النحاس، وابن عمه أيوب، ومجد الدين بن الظهير، وأحمد بن محمد بن العماد، وعبد الكريم بن المعذل، وعلي بن عبد الدائم، وعلي بن عثمان الطيبي، وعدد كثير .
أنظر: سير أعلام النبلاء، الجزء ٢٣، الطبقة الرابعة والثلاثون، ص١٤٨.

وُضع لأجْلها، والحكيمُ إذا أراد التعلُّمَ لا بُدَّ أن يَجمع بين بيانين: إجمالي تَتشوَّف إليه النَّفْسُ، وتفصيليٍّ تسكُن إليه»[1].

وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية: «لا بُدَّ أن يكون مع الإنسان أصولٌ كُلِّيةٌ تُرَدُّ إليها الجُزئيَّات ليتكلَّم بعلمٍ وعدل، ثم يَعرفَ الجُزئيَّات كيف وقعتْ؟ وإلا فيَبقَى في كذبٍ وجهلٍ في الجُزئيَّات، وجهلٍ وظُلَمٍ في الكُلِّيات، فيَتولَّد فسادٌ عظيم»[2].

ولِذا قال العلماء إنه ينبغي أن يكون عند طالب العلم حصيلةٌ من القواعد والأصول التي يُبنى عليها؛ حتى إذا سُئل عن أيِّ مسألةٍ ردَّها إلى هذه القاعدة.

ثم إنَّ هذه القواعد قد يكون بعضُها في القرآن الكريم، وبعضُها في السنَّة النبوية، وبعضُها في كلام الصحابة، وبعضُها في كلام الأئمَّة، وبعضُّها في كلام العلماء الذين هُم دون الأئمَّة[3].

يقول الشيخُ مصطفى أحمد الزَّرْقا[4]، في مَعرِض حديثه عن أهمية القواعد الفقهية: «فالطالبُ - في دراسته الشرعية أو القانونية - إذا تَلقَّى هذه القواعدَ، وتَفهَّم جيِّدًا مدلولاتِها ومدى تطبيقاتها، ووقف على مُستثنَياتها التي يَكشف عنها الشَّرحُ، ثم تَفهَّم الأسبابَ الفقهية التي قضت بقطْعِ الفرع المستثنَى عن قاعدته الظاهرة، وإلحاقِه بقاعدةٍ أو أصلٍ آخَر، يشعُر ذلكَ الطالبُ - في ختام دراسته لهذه القواعد وشروحها - كأنما وقف فوق قمَّةٍ من الفقه تُشرِف على آفاقٍ متراميةِ الأطراف من الفكرِ الفقهي نظريًّا وعمليًّا، ويرى امتداداتِه التطبيقيةَ في جميع الجهات»[5].

---

(١) انظر: المنتقى في القواعد، ٦٥/١-٦٦.
(٢) تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، (٢٠٣/١٤).
(٣) التعليق على القواعد والأصول الجامعة، ص٧-٨.
(٤) مصطفى أحمد الزرقاء هو: عالم سوري من أبرز علماء الفقه في العصر الحديث، أطل على العالم الإسلامي في وقت كان يئن تحت نير الاستعمار الإنجليزي والفرنسي الذي أدى إلى تراجع البلاد وانهيارها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا، وقام العلامة بالتوجيه والإصلاح وظهر أثر الفكر الغربي في الفكر والثقافة الإسلامية، فظهر الفكر الاستشراقي والتبشيري. في هذه الأوضاع ظهر الشيخ مصطفى الزرقا مصلحاً ذا أثر عظيم في إصلاح المجتمع ونهضته.
أنظر: محمد راغب الطباخ الحلبي: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ص٣٥٤.
(٥) أحمد الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ص١١.

وكما قيل: مَن حُرم الأصولَ حُرم الوصولَ.

وإذا عرفنا أهميةَ الأصولِ والقواعد ومعرفتِها وضبطِها، فإنَّ لشيخِ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ القَدَحَ المُعَلَّى في ذلك؛ فلا يكاد يخُوض في باب العلم - مِن أيِّ فرع من الفروع - إلا وتراه يعود بكلِّ مسألةٍ إلى أصولٍ وقواعدَ ينقُلها أو يستنبطها؛ كما قال، رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياق كلامه عن التوحيد: «القواعدُ المتعلِّقة بتقرير التوحيد، وحَسْمِ مادَّة الشِّرك والغُلُوِّ، كلَّما تَنوَّع بيانُها ووضحتْ عباراتُها، كان ذلك نُورًا على نُور».

قال العلامةُ السَّعدي(١)، في معرض كلامه عن كتب شيخ الإسلام: «ومِن أعظم ما فاقتْ به غيرَها وأهمِّه وتفرَّدت على سِواها: أنَّ مؤلِّفها رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعتنى غايةَ الاعتناء بالتنبيه على القواعد الكُلِّية، والأصول الجامعة، والضوابط المحيطة، في كلِّ فنٍّ من الفنون التي تَكلَّم بها...» (٢).

المطلب الثاني: تعريف توحيد الألوهية

التوحيد لغةً: مصدرُ وَحَّدَ توحيدًا فهو مُوحِّدٌ، والواحِدُ الأَحَدُ يدور معناه على الانفراد. (١)المعجم الوسيط(١٠١٦/٢)

أما الألوهيَّةُ فهي لفظٌ منسوبٌ إلى الإله، والإله كفعال بمعنى مألوه، وكل ما اتخذ معبودًا فهو إلهٌ عند مُتخذه...، وأله فلان يأله: عَبَده، وقيل: تأله، فالإله على هذا هو المعبود(٣).

تعريف توحيد الألوهية اصطلاحًا:

ذُكر في تعريف توحيد الألوهية اصطلاحًا أقوالٌ كثيرةٌ جدًّا، وقد اخترتُ منها تعريف الشيخ السعدي الذي عرَّفه تعريفًا جامعًا، فقال: «فأمَّا حدُّه وتفسيرُه

---

(١) أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي. عالمٌ ومفسّر سعودي، ولد في القصيم بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٠٧هـ. مات والده ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، وطلب العلمَ وجَدَّ فيه، فحفظ القرآن الكريم والمتون. ترك عدَّةَ كُتب نافعة، أكثرُها في تفسير القرآن وعلومه، وكتبُه قيِّمةٌ محقَّقة تخلو من الدخيل والغرائب، أسلوبها سهلٌ ميسّر. توفي سنة ١٣٧٦هـ.

(٢) أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، طريق الوصول، (ص٤).

(٣) انظر: أبو طاهر، مجد الدين، محمد بن يعقوب الفيروزابادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ١٧٣/١، والمعجم الوسيط، ١٠١٦/٢.

وأركانُه فهو أن يَعلَم ويَعترف - على وجه العلم واليقين - أن الله هو المألُوهُ وحْده، المعبودُ على الحقيقة، وأنَّ صِفاتِ الألوهية ومعانيها ليستْ موجودةً بأحدٍ من المخلوقات، ولا يستحقُّها إلا اللهُ تعالى»[١].

فتوحيدُ الألوهية هو توحيد الله في العبادة وفي سائر خصائص الألوهية؛ من الدعاء، والرجاء، والاستغاثة، والخَشْية، والإنابة. والآياتُ والأحاديث التي تدلُّ على هذا النَّوع كثيرةٌ جدًّا، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال ابن كثير: «أي: إنما خلقتُهم لِآمُرَهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم»[٢].

وقد نقل المفسِّرون عن ابن عباس[٣] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير الآية: «أيْ: إلَّا لِيُقِرُّوا بعبادتي طَوْعًا أو كَرْهًا»[٤]، وهذا اختيارُ ابن جرير[٥].

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، الناشر: دار ابن القيم، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ، ص١١٢-١١٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ٢٢٣/١٣.

(٣) حَبْرُ الأمَّة، وفقيهُ العصر، وإمام التَّفْسير، أبو العبّاس، عبْد الله بن العبّاس بن عبْد المطّلب بن هاشمٍ، القرشيّ الهاشميّ المكّيّ، الأمير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ابنُ عمِّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . ولد بشِعْب بني هاشمٍ، قبْل عام الهجْرة بثلاث سنيْن، وصَحِب النّبيّ - صلى الله عليه وسلم - نحْوًا من ثلاثين شهرًا، وحدَّث عنه بجُملةٍ صالحةٍ. توفّي ابْن عبّاسٍ سنة ثمانٍ، أوْ سبْعٍ وستّيْن.
أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ٣٣١/٣-٣٥٩.

(٤) عبد الرزاق الصنعاني، تفسير القرآن.

(٥) محمد بن جرير ابن يزيد بن كثير، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر أبو جعفرٍ الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمُل طَبَرِسْتان. مولده سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأكثر التَّرحالَ، ولقي نُبلاءَ الرجال، وكان من أفراد الدهر علمًا وذكاءً وكثرةَ تصانيف. توفي ابن جرير عشيَّة الأحد ليومين بَقِيَا من شوال سنة عشر وثلاثمائة، ودفن في داره برحبة يعقوب ببغداد. الذهبي، مرجع سابق، ٢٦٧/١٤، ٢٨٢.

وقد ورد في كتب التفسير ان هذا هو المأثورُ عن أمير المؤمنين، عليِّ بن أبي طالب، وغيره من السَّلَف، فذكروا عن علي بن أبي طالب أنه قال: إلَّا لآمُرُهم أن يعبدون وأدعوهم إلى عبادتي (١).

وتفسيرُ الآية بهذا المعنى هو اختيار شيخ المفسِّرين ابن جرير الطبري.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

قال ابن جرير: «يقول، تعالى ذكْره: ولقد بعثنا - أيها الناس - في كلِّ أمَّة سلفتْ قَبلكم رسولًا، كما بعثنا فيكم، بأن اعبدوا الله وحْده لا شريكَ له، وأفردوا له الطاعةَ، وأخلِصوا له العبادةَ، وابعُدُوا من الشيطان، واحذَروا أن يُغوِيَكم ويَصُدَّكم عن سبيل الله فتَضِلُّوا»(٢).

وقوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: ٣٩].

قال ابن جرير: «يقول: ولا تجعلْ مع الله شريكًا في عبادتك فتُلقى في جهنم مَلُومًا تَلُومك نفْسُك وعارِفوك من الناس»(٣).

وقال ابن كثير: «والمرادُ من هذا الخِطاب الأمَّةُ بواسطة الرسول - صلى الله عليه وسلم -؛ فإنه - صلواتُ الله وسلامُه عليه - معصومٌ»(٤).

وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥١].

---

(١) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ١٣٨/١٤.

(٣) ابن جرير، جامع البيان، ١١٤/١٥.

(٤)ابن كثير، تفسير ابن كثير (٧٧/٥)

قال ابن جرير: «يقول، جلَّ ثناؤه: ولا تجعلوا - أيها الناس - مع معبودكم الذي خلقكم معبودًا آخَر سِوَاه؛ فإنه لا معبودَ تصلُح له العبادةُ غيرُه»[1].

وأمَّا السنَّة فمنها ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنتُ رَدِيفَ النبيِّ على حِمارٍ، فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله على عباده؟ قلتُ: اللهُ ورسوله أعلم! قال: حقُّ الله على العِباد أن يعبُدوه ولا يُشركوا به شيئًا، أتدري ما حقُّ العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقُّ العباد على الله ألا يعذِّب مَنْ لا يشرك به شيئًا». قلتُ: أفلا أُبشِّر الناسَ؟ قال: «لا تُبشِّروهم فيتَّكِلوا»[2].

ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم -: &«أُمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يَشهدوا أنْ لا إله إلا لله وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عَصَمُوا منِّي دماءَهم وأموالَهم، إلا بحقِّ الإسلام، وحسابُهم على الله»[3].

وعن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: لـمَّا بَعث النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - مُعاذَ بن جَبَل إلى نحْو أهل اليمن، قال له: &«إنَّك تَقدُم على قومٍ مِن أهل الكتاب، فلْيَكُنْ أوَّلَ ما تدعوهم إلى أن يُوحِّدوا الله تعالى»[4].

---

(١)ابن جرير، جامع البيان،.(١٣/٢٧)

(٢) صحيح البخاري (ح٢٨٥٦)، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفَرَس والحمار، (ص٧٠٥)، وصحيح مسلم (ح٣٠)، كتاب الإيمان، باب الدليل على أنَّ من مات على التوحيد دخل الجنَّة قطعًا، (٥٥/١)، باختلافٍ يسير بينهما.

(٣) صحيح البخاري (ح٢٥)، كتاب الإيمان، باب ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ ﴾ [التوبة: ٥]، (ص١٦)، وصحيح مسلم (٢١)، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -، وأنَّ من فعل ذلك عصم نفْسَه وماله، إلا بحقِّها، ووُكلتْ سَرِيرته إلى الله تعالى، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام، (٥٢/١).

(٤) صحيح البخاري (ح٧٣٧٢)، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - أمَّتَه إلى توحيد الله، تبارك وتعالى، (ص١٨٢٠)، وصحيح مسلم (ح١٩)، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (٥١/١).

المطلب الثالث: أهمية توحيد الألوهية، والثِّمار المترتبة على تحقُّقه

توحيدُ الله ـ تعالى ـ أعظمُ ما أمر به، ويكفي لمعرفة أهمِّيته ومنزلته في الدِّين أن نرى كثرةَ ذكْره وترديده في القرآن، وذكْرِ دلائله وبراهينه وتنويعها، والرَّدِّ على المخالفين فيه وإبطال حُجَجهم وشُبُهاتهم.

قال ابنُ أبي العِزِّ[(١)]: «وغالِبُ سُوَر القرآن متضمِّنةٌ لِنوعَي التوحيد، بل كلُّ سُورة في القرآن؛ فالقرآن إمَّا خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيدُ العلْمي الخَبري، وإمَّا دعوةٌ إلى عبادته وحْده لا شريكَ له، وخلْعِ ما يُعبد من دونه، فهو التوحيدُ الإرادي الطلبي، وإمَّا أمرٌ ونهيٌ وإلزامٌ بطاعته، فذلك من التوحيد ومكمِّلاته، وإمَّا خبرٌ عن إكرامه لأهل توحيده، وإمَّا خبرٌ عن أهل الشِّرك، وما فُعل بهم في الدنيا من النَّكال، وما يَحِلُّ بهم في العُقْبى من العذاب؛ فهو جزاءُ من خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[(٢)].

فكلامُ ابن أبي العزِّ يدلُّ على عِظَم أهمية هذا التوحيد، ويمكن أن نلخِّص أهمِّيةَ توحيد الألوهية في النِّقاط التالية:

- أنه أوَّلُ دعوة الأنبياء والرُّسُل، وأولُ واجبٍ على المكلَّف. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].
- أنه أولُ واجبٍ على المكلَّف،كما قال الرسول لمعاذ عندما أرسله إلى اليمن"...فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى..."

---

(١) ابن أبي العز هو: الإمامُ العلامةُ صَدرُ الدين، أبو الحسن عليُّ بن علاءِ الدين عليِّ بن شمس الدين أبي عبد الله محمد بن شرف الدين أبي البركات محمد بن عز الدين أبي العز صالح بن أبي العز بن وهيب بن عطاء بن جبير بن جابر بن وهب الأذرعي الأصلِ، الدمشقي الصالحيَّ الحنفي، المعروف بابن أبي العز، ولد في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة، نشأ في كنف أسرة جميعُ أفرادها كانوا ينتحاون مذهب أبي حنيفة، ومعظمهم قد تولى القضاء، وقد درس هذا المذهب على أبيه دراسة متقنة أهلته لتولي القضاء فيه، ولكنه تخلص من رقة التقليد، ويرجح ما استبان له الدليل.
انظر: عبد زقيل، الملتقى الفقهي/ الشبكة الفقهية.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص١٠.

- أنه سببُ سعادة الدَّارَين؛ فهو يَمنع من دخول النار؛ لحديث: «أَخْرِجوا من النار مَن كان في قلبه مِثْقالُ حبَّةٍ من خَرْدَلٍ من إيمان»(١).

وأمَّا الآثارُ المترتِّبة على توحيد الألوهية فهي كثيرةٌ جدًّا، وأُشير هنا إلى بعضٍ منها:

- أنه يخفِّف عن العبد المَكارهَ، ويُهوِّن عليه الآلام؛ فبحسَب كمال توحيد العبد وإيمانه يتلقَّى المَكارهَ والآلام بقلبْ منشرحٍ ونفْسٍ مطمئنَّةٍ وتسليمٍ ورضًا بأقدار الله الحكيم العليم.
- أنه يحرِّر العبدَ من رِقِّ المخلوقين، والتعلُّقِ بهم، وخَوفِهم ورجائهم، والعملِ لأجْلهم.
- أنَّ الله لن يَقبل أيَّ عمل من دونه؛ فأيُّ عمل من دون هذا التوحيد فهو حابِطٌ غيرُ مقبول، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٥٦].
- أنه يحصُل لصاحبه الهُدى الكامل والأمنُ التَّامُّ في الدنيا والآخرة.
- أنَّ ترتيب الثواب على جميع الأعمال الظاهرة والباطنة متوقِّف على قبُول التوحيد وكماله؛ فكُلَّما قَوِيَ توحيدُ الله والإخلاص له كمُلت هذه الأمورُ وتمَّت.
- أنه يسهِّل على العبد فعْلَ الخيرات وتركَ المنكَرات، ويسلِّيه عن المصيبات.
- أنه سببٌ لمضاعفة الأعمال؛ فإنَّ التوحيد إذا تمَّ وكمُل في القلب، وتحقَّق تحقُّقًا كاملًا بالإخلاص التامِّ، فإنه يصير القليلُ من عمل صاحبه كثيرًا.
- أنه سببٌ لِأن يدافع الله - تعالى - عن الموحِّدين من أهل الإيمان، إذ يدفع عنهم شُرورَ الدنيا والآخرة، ويَمُنَّ عليهم بالحياة الطيِّبة والطُّمأنينة؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج: ٣٨](٢).

---

(١) صحيح البخاري (ح٢٢)، كتاب الإيمان، باب تفاضُل أهل الإيمان في الأعمال، (ص١٥)، وصحيح مسلم (ح١٩٣)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها، (١٨٢/١).

(٢) انظر: السعدي، القول السديد، باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، ص١٦.

المطلب الرابع: ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمه ونسبه:

هو أبو العباس، تقيُّ الدين، $أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحرَّاني(١).

مولده:

وُلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحَرَّانَ يوم الاثنين، عاشر، وقيل: ثاني عشر ربيع الأول سنة ٦٦١هـ(٢).

فائدة مهمَّة:

الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يتزوَّج؛ لأنه كان مشغولًا بالعلْم والجهاد، لا زُهْدًا في سُنَّةِ نبيِّنا محمد - صلى الله عليه وسلم -.

نشأته وطلبُه للعلم:

نشأ شيخُ الإسلام في حَرَّان حتى بلغ السَّابعة من عُمره، ثم هاجر مع والده إلى دمشق بعد استيلاء التَّتار(٣) على بلادهم، وقد نشأ ابنُ تيمية في أُسرةٍ عريقة عُرفت بالعلْم والدِّين.

وانشغل ابنُ تيمية منذ صغره بطلب العلْم، متَّصِفًا بالجِدِّ والاجتهاد، فختم القرآنَ صغيرًا، ثم اشتغل بحِفْظ الحديث، ودراسة الفِقه واللُّغة العربية، حتى برع في ذلك، مع مُلازَمة مجالس الذِّكْر وسَماع الأحاديث والآثار، فسَمِعَ غيرَ كتابٍ على غيرِ شيخ من ذوي الرِّوايات الصحيحة العالية. أمَّا دواوينُ الإسلام الكِبارُ - كمُسند أحمد، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وجامع الترمذي، وسُنن أبي داود السِّجِسْتاني، وسُنن النَّسائي، وسُنن ابن ماجه، وسُنن الدَّارقُطني - فإنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ سمِعَ كُلَّ واحدٍ منها عدَّةَ مرَّات، وأوَّلُ كتاب حَفِظَه في الحديث الجَمْعُ بين الصحيحين، للإمام الحُميدي، وقَلَّ كتابٌ من فنون العلم إلا وقف عليه(٤).

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١٣٥/٤).

(٢) انظر: العقود الدرية، لابن عبد الهادي (ص٢).

(٣) التَّتار شعبٌ تعود جُذورُه إلى الشعوب التركية التي عاشتْ في الهَضبة الآسيوية. انظر: التتار والمغول، لمحمود السيِّد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دون طبعة، ٢٠٠١م.

(٤) انظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للبزَّار (ص: ١٧-١٨).

قال تلميذُه ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قرأ ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنفْسه الكثيرَ من الكتب، وطَلَبَ الحديثَ، ولازَم السَّماعَ بنفْسه مدَّةَ سنين، ثم اشتغل بالعلوم، وكان ذكيًّا، كثيرَ المحفوظ، فصار إمامًا في التفسير وما يتعلَّق به، عارفًا بالفِقه واختلافِ العلماء، والأصلَين - القرآن والسنَّة - والنَّحو واللُّغة، وغير ذلك من العلوم النقليَّة والعقلية. وما تَكلَّم معه فاضلٌ في فنٍّ من الفنون العلمية إلا ظَنَّ أنَّ ذلك الفنَّ فنُّه، ورآه عارفًا به مُتْقِنًا له، وأمَّا الحديثُ فكان حافِظًا له مَتْنًا وإسنادًا، مُميِّزًا بين صحيحه وسقيمه، عارفًا برجاله، مُتضلِّعًا من ذلك، وله تصانيفُ كثيرةٌ، وتعاليقُ مفيدةٌ في الأصول والفروع»(١).

و«اختصَّ اللهُ ابنَ تيمية بسُرعة الحفظ وإبطاء النسيان، لم يكن يَقِفْ على شيءٍ أو يستمعْ لشيءٍ غالبًا، إلَّا ويَبقى على خاطِره؛ إمَّا بلفظه أو معناه»(٢).

ثناء العلماء على ابن تيمية:

حَظِيَ ابنُ تيمية بثناءِ العلماء عليه قديمًا وحديثًا، وهنا نورد شيئًا من أقوالهم.

- قال عنه $ابنُ عبد الهادي(٣): «هو الشَّيخُ الإمام الربَّاني، إمامُ الأئمَّة، ومُفْتي الأُمَّة، وبَحْر العلوم، سيِّدُ الحُفَّاظ، وفارسُ المعاني والألفاظ، فريدُ العصر، شيخُ الإسلام، برَكةُ الأنام، وعلَّامةُ الزمان، وتُرْجُمان القرآن، عَلَمُ الزُّهَّاد، وأوْحَدُ العُبَّاد، قامِعُ المبتدِعين، وآخِرُ المجتهِدين، وصاحبُ التصانيف التي لم يُسبَقْ إلى مثْلها»(٤).

- وقال الذَّهبيُّ(٥): «كان إمامًا مُتبحِّرًا في علوم الدِّيانة، صحيحَ الذِّهن، سريعَ الإدراك، سَيَّالَ الفَهْم، كثيرَ المَحاسن، موصوفًا بفَرْط الشَّجاعة والكرَم،

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١٤٢/١٤).

(٢) انظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للبزَّار (ص١٦).

(٣) هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي الدمشقيُّ الصالحي، من كبار الحنابلة. أخذ عن ابن تيمية، والذَّهبي، وغيرهما، وصنَّف ما يزيد على سبعين كتابا، منها: فضائل الشام، وشرح التسهيل. توفي سنة ٧٤٤هـ. انظر: الأعلام، للزركلي (٣٢٦/٥).

(٤) انظر: العقود الدرية، لابن عبد الهادي (ص١٨).

(٥) هو الحافظ المؤرِّخ العلامة المحقِّق، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. له عدَّة تصانيف، منها :تاريخ الإسلام الكبير، والمستدرك على مستدرك الحاكم. توفي سنة ٧٤٨هـ. انظر: الأعلام، للزركلي (٣٢٦/٥).

فارغًا عن شهوات المأكل والملْبَس والجِماع، لا لذَّةَ له في غير نَشْر العلم وتدوينه، والعمل بمقْتضاه»[1].

-وقال أيضًا: «ومَن أراد تحقيقَ ما ذكرتُه، فليُمْعِن النَّظرَ ببصيرته؛ فإنه حينئذٍ لا يَرى عالِمًا، مِن أيِّ أهْل بلدٍ شاء، مُوافقًا لهذا الإمام، معترفًا بما منَحه اللهُ - تعالى - مِن صنوف الإلهام، مُثْنِيًا عليه في كلِّ مَحفِلٍ ومَقام، إلاَّ ورآه مِن أتْبَع علماء بلده للكتاب والسنَّة، وأشْغَلِهم بطلب الآخرة، وأرْغَبهم فيها، وأبْلَغِهم في الإعراض عنها، وأهْملِهم لها، ولا يَرى عالِمًا مخالفًا له، منحرفًا عنه، مُلتبسًا بالشَّحناء له، إلا وهُو مِن أكبرهم نَهْمَةً في جمْع الدُّنيا، وأوْسَعهم حِيَلاً في تحصيلها، وأكثرهم رياءً، وأطلبهم سُمْعةً، وأشهرِهم عند ذي اللبِّ أحوالاً رَدِيَّةً، وأشدِّهم على ذوي الحُكم والظُّلْم دهاءً ومَكرًا، وأبْسَطهم في الكذب لسانًا، وإنْ نظَر إلى مُحَبِّيه ومُبغِضيه من العَوَامِّ، رآهم كما وصَفتُ من اختلاف القَبِيلَين الأوَّلَين»[2].

فهذه شهادةُ أهل الحقِّ والتُّقى، ممَّن شُهِد لهم فشَهِدوا له، وأهلُ الفضل أعلمُ بالفُضلاء.

مِحَن الشيخ:

امتُحن شيخُ الإسلام عدَّة مرَّات بسبب الحسد، فلمَّا كانت منزلتُه عاليةً في الشام وَشَى به ضِعافُ النفوس عند الوُلاة في مصر، ولم يجدوا غيرَ القدح في عقيدته؛ ففي سنة ٧٠٥هـ جاء أمرٌ من مصرَ بالسؤال عن عقيدته، فامتنع عن الإجابة، فأَمروا بسَجنه، واستمرَّ في السجن إلى شهر صفر سنة ٧٠٧هـ؛ إذ طلب وفدٌ من الشام بأن يخرُج من السجن، فخرج وآثر البقاءَ في مصر.

أمَّا في سنة ٧٠٦ فقد نُفي من القاهرة إلى الإسكندرية، وكان هذا من الخير لأهل الإسكندرية ليطلبوا العلمَ على يديه، ويتأثَّروا بمواعظه، ويَتقبَّلوا منهجَه، لكنْ لم يَدُم الأمرُ طويلًا لهم؛ فبعد سبعة أشهُر طلبه $الناصرُ قلاوون[3] بعد أن عادت الأمورُ إليه واستقرَّتْ؛ فقد كان من مناصري ابن تيمية، وعاد الشيخُ إلى دروسه العامرة في القاهرة. غير أن مِحنة الشيخ اشتدَّتْ حين منع الناسَ من

---

(١) انظر: المعجم المختصّ بالمحدِّثين، للذهبي (ص٢٥).

(٢) انظر: الأعلام العليَّة، للبزَّار (ص٧٩-٨١).

(٣) هو أبو الفتح، محمد بن قَلاوُون بن عبد الله الصالحي، من كبار ملوك الدولة القَلاوونية، وُلِّيَ سُلطةَ مصر وهو صغيرٌ، وخُلع منها لِحَداثَة سنِّه، ثم عاد إليها بالقوَّة، وكان وقُورًا مَهيبًا. توفي سنة ٧٤١هـ. انظر في ترجمته: الدرر الكامنة، لابن حجر (٢٦١/٤).

زيارة القبور، فصدر الحكمُ بأن يُنقل إلى قلعة دمشق ويُعتقَل فيها، فأخرجوا ما كان عند الشيخ من الكتب والأقلام، ومُنع مِن مُلاقاة الناس، وبَقِيَ محبوسًا هناك حتى مات(١).

وفاته:

تُوفِّي الشيخ ليلةَ الاثنين العشرين من ذي القعدة من سنة ٧٢٨هـ، بقلعة دمشق التي كان محبوسًا فيها، واشتدَّ الزِّحامُ هناك للصلاة عليه، ودُفن في مقابر الصوفية(٢).



(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١٢٣/١٤).
(٢) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١٣٥/١٤-١٣٩).

المبحث الثاني: الأصول والقواعد المستنبَطة من كلام ابن تيمية والمتعلِّقة بعقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد الألوهية

المطلب الأول: شرح معنى الألوهية عند ابن تيمية:

فممَّا قاله في بيان مدلول هذا التوحيد لغةً: «إذِ الإلَٰه هو الذي يُؤلَه فيُعبَد محبَّةً وإنابةً وإجلالًا وإكرامًا، والرَّبُّ هو الذي يُربِّي عبدَه، فيُعطِيه خَلْقَه ثم يَهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها»(١).

ويبيِّن ابنُ تيمية أنَّ الألوهية في معناها اللُّغوي تعني عبادةَ الله وحْده لا شريك له، ولذا فإنَّ معنى الإله: «المستحِقُّ للعبادة»(٢).

وفي موضعٍ آخَر قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذِ الإلهُ الحقُّ هو الذي تَأْلَهُه القلوبُ فتَخلُو عن محبَّة ما سِوَاه بمحبَّته، وتكتفي برجائه عن رجاء ما سِوَاه، قال، جلَّ شأنه: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢] كما تستغني بسُؤاله عن سُؤال ما سِوَاه، وعن العمل لِمَا سِوَاه بالعمل له، وعن الاستعانة بما سِوَاه بالاستعانة به، وبخوفه وخَشْيته عن خوفِ أو خَشْية مِن سَوَاه؛ لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: ٤٤] وبدعائه عن دعاء من سِوَاه»(٣).

ويقول ابن تيمية في شرحه لتوحيد الألوهية معتمِدًا على الكتاب والسنَّة: «فهذا التوحيدُ الذي في كتاب الله هو توحيدُ الألوهية، وهو أن لا تَجعَل معه ولا تدعُوَ معه إلهًا غيرَه»(٤)، ثم يستدلُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لتأكيد هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الإسراء ٣٩].

---

(١) تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ٢٢/١.

(٢) ابن تيمية، المرجع السابق (٢٥٠/٥).

(٣) تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، (٢٢٦/١).

(٤) ابن تيمية، الفتاوى، ٢٧٧/٢.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨] وَبقوله تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: ٥٨] وبقوله تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الفرقان: ٥٩]. وَبقوله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ﴾ [البينة: ٥].

ثم يقول ابن تيمية رحمه الله بعد استدلاله بالقرآن على توحيد الألوهية:

«ونظائرُ هذا في القرآن كثيرٌ، وكذلك في الأحاديث، وكذلك في إجماع الأمَّة، لا سيَّما أهلُ العلم والإيمان منهم؛ فإنه عندهم قُطْبُ رَحَى الدِّين، كما هو الواقع»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنًا أن توحيد الألوهية هو إفرادُ الله بالعبادة: (ولا ريبَ أن الله ألزم الخَلْقَ التوحيدَ وأمرهم به، وقضى به وحكم، فقال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقال تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل: ٢]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل: ٥١]، وقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]... وهذا كثيرٌ في القرآن، يُوجب على العباد عبادتَه وتوحيده، ويُحرِّم عليهم عبادةَ ما سِوَاه؛ فقد حكم وقضى أن لا إله إلا هو)(٢).

(١) انظر: ابن تيمية، المرجع السابق، ٢١/١.
(٢) ابن تيمية، الفتاوى، (١٧١/١٤).

وفي بيان اعتماد ابن تيمية على كلام السَّلَف في شرح توحيد الألوهية نجد له أقوالًا عدَّةً.

- من ذلك ما نقله عن $ابن المُنْذِر[١] من قوله: «أجمع كلُّ من أحفظُ عنه من أهل العلم أنَّ الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، وأن كلَّ ماجاء به محمدٌ حقٌّ، وأبرَأ إلى الله من كلِّ دِين يخالف دينَ الإسلام، وهو بالغٌ صحيح يَعقل، أنه مسْلمٌ»[٢].

وفي موضعٍ آخَر حكى ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإجماعَ في مسألة مدلول توحيد الألوهية، فقال: (إجماع الأمَّة المحمدية – لا سيَّما السَّلفُ الصالح، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين - على مدلول توحيد الألوهية، وأنه هو المعبودُ الحقُّ الذي تجب أن تُصرف له جميعُ أنواع العبادة)[٣].

وفي إثبات الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية أُشير هنا إلى ما سوف يَرِد بعد ذلك مفصَّلًا بالأدلَّة، وهو بيانُ ابن تيمية أن معنى توحيد الألوهية يختلف عن معنى توحيد الربوبية، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فليست الإلهيةُ هي الخَلْقَ أو القُدرة على الخَلْق)[٤].

ففي هذه العبارة يبيِّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن معنى توحيد الألوهية ليس هو التفرُّدَ بالخَلْق أو القُدرَة عليه.

وفي بيان منزلة توحيد الألوهية ومكانته نجد – أن ابن تيمية قد أكد ماسبق نقله من بيان ومنزلة ومكانة توحيد الألوهية(١)انظر ص،فبين – أنَّ هذا التوحيد

---

(١) هو الإمام الحافظ العلامة، شيخ الإسلام أبو بكر، محمد بن إبراهيم بن المُنْذِر النَّيْسابُوريُّ الفقيه، نزيل مكة، وصاحب التصانيف، مثل: الإشراف في اختلاف العلماء، وكتاب الإجماع، وغير ذلك. وُلد في حدود موت أحمد بن حنبل، وروى عن: الربيع بن سليمان، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ومحمد بن إسماعيل الصائغ، ومحمد بن ميمون، وعلي بن عبد العزيز، وخَلْقٍ كثير مذكورين في كتبه. مات بمكة سنة تسع أو عشر وثلاثمائة. النووي، أبو زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، تخريج الأحاديث وتخريج أسماء الرجال لمصطفى عبد القادر عطا، ١٩٧/٢.

(٢) نقله عنه ابنُ تيمية في: درء تعارض العقل والنقل، ٨/٧.

(٣) ابن تيمية، الفتاوى، ٢٧٢/٣.

(٤) ابن تيمية، المرجع سابق، ٢٧٢/٣.

- هو أول دعوة الأنبياء، لقوله تعالى"ولقد بعثنا في كل امة رسولا
- أنه أول واجب على المكلف،
- أنه سبب لسعادة الدارين
- أن توحيد الألوهية أصل الدين ورأسه
- أن كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه ،فيقول مبينا ذلك«هو أصلُ الدِّين ورأسُه الذي لا يَقبل اللهُ عملًا إلا به، ويَغفر لصاحبه ولا يَغفر لمن تركه، ولهذا كانت كلمةُ التوحيد أفضلَ الكلام وأعظمهَ؛ فأعظمُ آية في القرآن آيةُ الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]...»(١).

وفي بيان الآثار الشرعية لتوحيد الألوهية عند ابن تيمية من خلال أمور عدة :

-أن توحيد الألوهية الأصل في قبول العبادة،يقول ابن تيمية: «إنَّ العبادة لها أصْلان:

أحدُهما: ألَّا يُعبد إلا الله.

والثاني: ألَّا يُعبد إلا بما شرعه، لا يُعبد بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع»(٢).

-أن توحيد الألوهية سبب لنيل المغفرة من الله فإن الله يغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه

-أن أي عمل صالح لا يكون صاحبه متحققا بتوحيد الألوهية فهو حابط.

-أن القلب كما قال ابن تيمية: «إنَّ القلب كلَّما ازداد حبًّا لله ازدادتْ عبوديَّتُه، وكلَّما ازدادتْ عبوديَّتُه ازداد تقرُّبُه لربِّه؛ فلا يعبُد غيرَه، ولا يستعين بسِوَاه؛ كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]. فيحصُل

---

(١) ابن تيمية، الفتاوى، (٣/٤٠٠).

(٢) تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٣٧.

للقلب بذلك من الكمالات النفسية ما يعمُر بها قلبه؛ كالطُّمأنينة والسُّكون، والأمن والفرح، والسُّرور واللَّذَّة، ما لا يجده غيرُه، وبذا ينفسح القلبُ ويتَّسع، فيكون أهلًا لقَبُول هداية الله»[1].

-أن توحيد الألوهية هوسبب ترقي الإنسان في مدارس الكمالات، يقول ابن تيمية:

وقولُه: «والحقُّ المبين أن كمال الإنسان أن يَعبُدَ اللهَ علْمًا وعملًا كما أمره ربُّه، وهؤلاء هم عِبادُ الله المفلحون وجُندُ الله الغالبون، وهُم أهلُ العلم النافع والعمل الصالح، وهم الذين زكَّوْا أنفُسَهم وكمَّلوها؛كمَّلوا القوَّةَ النظرية والعلمية، والقوَّةَ الإرادية»[2].(١) ابن تيمية، الفتاوى، ٩٦/٢-٩٧

-أن المتحقق بتوحيد الألوهية باطنا وظاهرا لا يمكن أن يصرف شيئا من مقتضيات توحيد الألوهية لغير الله تعالى،يقول ابن تيمية: «فإنَّ المسلمين متَّفقون على ما عَلِموه بالاضطرار من دين الإسلام: أنَّ العبد لا يجوز له أن يَعبُدَ ولا يدعو ولا يستغيث ولا يتوكَّل إلا على الله، وأنَّ مَن عبد مَلَكًا مقرَّبًا أو نبيًّا مرسَلًا، أو دعاه أو استغاث به، فهو مشركٌ، فلا يجوز - عند أحد من المسلمين - أن يقول القائلُ: يا جِبْرائيلُ، أو: يا ميكائيل، أو: يا إبراهيم، أو: يا موسى، أو: يا رسولَ الله، اغفِرْ لي وارحمني، أو: ارزقني، أو: انصُرني، أو: أغثني، أو: أَجِرْني مِن عدُوِّي، أو نحو ذلك، بل هذا كلُّه من خصائص الألوهية»[3].

هذه بعض أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان المعنى الصحيح لتوحيد الألوهية، ومنزلته وآثاره، ومن هذه الأقوال نستطيع أن نستنبط أهمَّ الأصول والقواعد التي اعتمد عليها ابنُ تيمية في تعريفه لتوحيد الألوهية، ومنها:

أولاً: الالتزام بالأصل اللُّغوي؛ وذلك لأنَّ كلمة الإله - كما سبق بيانه - تعني المعبودَ لا الخالقَ أو الرازق أو نحو ذلك، فنجد ابنَ تيمية قد رجع في هذه المسألة إلى تعريف أهل اللُّغة المعتبَرين، وهذا من القواعد الأساسية عنده؛ إذ يعتمد في تعريفه للعبارات الشرعية على كلام أهل اللُّغة ممَّن لم يتأثَّروا بعلم الكلام.

---

(١) ابن تيمية، العبودية، ص١٠٨-١٠٩.
(٢) ابن تيمية، الفتاوى، ٩٦/٢-٩٧.
(٣) ابن تيمية، المرجع سابق، ٢٧٢/٣.

ثانيًا: الالتزام بالأصل الشرعي: فنجد اعتمادَ ابن تيمية في التعريف على القرآن والسنَّة؛ إذْ وجدْنا أنه أورَد في بيانه لتوحيد الألوهية الآياتِ والأحاديثَ التي تؤكِّد الحقَّ في معنى توحيد الألوهية وارتباطه بالعبادة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فالألوهيةُ مرتبطةٌ بالعبادة كما بينت هذه الآية.

ثالثًا: الاعتماد على أقوال السَّلَف؛ كما رأينا فيما نقله شيخُ الإسلام - في بيان توحيد الألوهية - عن ابن المنذر.

رابعًا: عدم الخلط بين المفاهيم الشرعية؛ إذ يبيِّن ابنُ تيمية أن معنى توحيد الألوهية غير معنى توحيد الربوبية؛ فلكلٍّ منهما معناه الخاصُّ به، ولا يجوز الخلطُ بينهم؛ كتفسير الألوهية بالخَلْق والرِّزق وهُما من معاني الربوبية.

خامسًا: الاهتمام ببيانِ المنزلة والمكانة الحقَّة لتوحيد الألوهية، وأنه أوَّلُ واجب على المكلَّف، وشرطٌ أساسي لقَبُول الأعمال.

سادسًا: الاهتمام ببيان الآثار الشرعية لتوحيد الألوهية، ولهذا كلِّه أثرٌ كبير في إيضاح معنى توحيد الألوهية وتعميقه في النُّفوس.

المطلب الثاني: منهج الاستدلال على توحيد الألوهية عند ابن تيمية والقواعد المستنبطة من ذلك

أورد شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مواضعَ عده من كتبه الكثيرَ من الأدلَّة من القرآن والسنَّة النبوية، المتضمنة الأمرُ الربَّاني المباشر للعباد بتوحيده في ألوهية، ويمكننا أن نضع استدلالات شيخ الإسلام ضمن النقاط التالية:

أولاً- الأمر الربَّاني المباشر لتوحيده جل وعلا في ألوهيته من خلال نصوص القرآن والسنَّة النبوية:

فقد استدل شيخ الإسلام رحمه الله على هذه القضية بالعديد من النصوص وذلك كاستدلاله بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النسا: ٣٦]، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وبين شيخ الإسلام أن توحيد الألوهية يشمل عبادة الله والتوكل عليه ودعاؤه إلى غير ذلك من مفردات توحيد الألوهية فمن الآيات التي جمعت بين التوكل على الله وعبادته قوله جل وعلا:

﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾. وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورى: ١٠]، وكذلك التَّوكُّل، كما قال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن: ١٣]، وقال: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]، والدُّعاء لله وحْده؛ سواءٌ كان دعاءَ العبادة أو دعاءَ المسألة والاستعانة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن: ١٨-٢٠]، وقال تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٤]، وقال: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣].

ثم يبيِّن ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن توحيد الألوهية هو أول أمر بعث اللهُ به جميعَ الرُّسل إلى أقوامهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وقال: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ

إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣](١).

ويستمرُّ ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أدلته على توحيد الألوهية من خلال مكانة هذا التوحيد من خلال نصوص السنة النبوية:

قوله: «وتوحيدُ الله وإخلاصُ الدِّين له في عبادته واستعانته في القرآن كثيرٌ جدًّا، بل هو قلبُ الإيمان وأوّلُ الإسلامِ وآخِرُه. واستدل رحمه الله بحديث ـ صلى الله عليه وسلم ـ &«إنّما الأعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى؛ فمَن كانت هِجْرتُه إلى الله ورسوله فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرتُه إلى دُنيا يصيبها أو امرأةٍ يتزوَّجها فهجرتُه إلى ما هاجَر إليه»(٢)، فبيَّن بهذا أن النِّيَّة عملُ القلب وأنها أصلُ العمل، وإخلاصَ الدِّين لله، وعبادةَ الله وحْده، ومُتابعةَ الرَّسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما جاء به، هو شهادةُ أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا عبدُه ورسوله»(٣).

ومن استدلالات شيخ الإسلام على توحيد الألوهية من خلال النصوص النبوية استدلاله بقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ :«يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد؟» قال: اللهُ ورسوله أعلم، قال: «حقُّه عليهم أن يعبُدوه ولا يشركوا به شيئًا»، قال: «أتدري ما حقُّهم عليه إذا فعلوا ذلك؟» فقال: الله ورسوله أعلم، قال: «أنْ لا يعذِّبهم»(٤).

فيبين ابنُ تيمية بيانَ معنى الشهادتين اللَّتَين هُما أولُ أركان الإسلام، مستدلًّا بذلك على توحيد الألوهية.

فيقول: (وهذا كلُّه تفصيلُ الشَّهادتين اللَّتَين هُما أصل الدِّين: شهادة أن لا إله إلَّا الله، وشهادة أن محمّدًا عبدُه ورسوله. والإلهُ مَن يستحقُّ أن يؤلِّهه العِبادُ، ويَدخُلَ فيه حبُّه وخوفُه؛ فما كان مِن توابعِ الألوهية فهو حقٌّ محضٌ لله، وما كان من أمور الرِّسالة فهو حقُّ الرَّسول. ولـمَّا كان أصلُ الدِّين الشّهادتين، كانت هذه

---

(٢) صحيح البخاري (ح١)، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ص٧.

(٣) ابن تيميية، مجموع الفتاوى، ج١، ص٧٠.

(٤) صحيح البخاري (ح٢٨٥٦)، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرَس والحمار، ص٧٠٥-٧٠٦، وصحيح مسلم (ح٣٠)، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، ٥٨/١.

الأمَّةُ الشُّهداءَ ولها وصفُ الشّهادة؛ لقوله: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣]، ولهذا كان المحقّقون على أنَّ الشّهادتين أوّلُ واجبات الدِّين؛ كما عليه خُلَّصُ أهل السنَّة)[١].

ثانيًا- الاستدلال بدليل الفطرة السليمة على توحيد الألوهية]

إنَّ من الأدلَّة على توحيد الألوهية أن الله تعالى قد فطر العباد على معرفته سبحانه والإيمان به وتوحيده في ربوبيته وألوهيته ولو تركت هذه الفطرة ومقتضاها دون وجود عوامل تحرفها لما نشأت أي إنسان إلا مؤمنا بالله موحدا له في ألوهيته، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢]؛ فالإيمان بوجوده سبحانه وتوحيده سبحانه مركوزٌ في فِطْرة البشَر، إلا تلك التي انحرفت عن الفطرة السليمة لأسباب عدة،؛ وإلا فإن كل إنسان يشعُر أن له خالقًا يلجأ إليه وقتَ الشدائد يدعوه ويستغيثه.

ومن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الأمر: (فإنَّ بني آدم جميعًا يشعُرون بحاجتهم وفقرهم، وهذا الشعورُ أمرٌ ضروري فِطْري؛ إذِ الفقرُ وصفٌ ذاتيٌّ لهم، فإذا ألمَّتْ بالإنسان - حتى المشرك - مصيبةٌ قد تؤدِّي به إلى الهلاك، فَزِعَ إلى خالقه - سبحانه - والتجأ إليه وحْده، واستغنى به ولم يستغنِ عنه، وشعورُ هذا الإنسان بحاجته وفقره إلى ربه تابعٌ لشعوره بوجوده وإقراره؛ فإنه لا يُتصَوَّر أن يشعُرَ الإنسان بحاجته وفقره إلى خالِقِه إلا إذا شعر بوجوده، وإذا كان شعورُه بحاجته وفقره إلى ربِّه أمرًا ضروريًّا لا يمكنه دفعُه، فشعورُه بالإقرار به أَوْلَى أن يكون ضروريًّا)[٢].

ويقول رحمه اللهرَحِمَهُٱللَّهُ في موضعٍ آخَر: «فإنَّ الإقرار بالصانع هو أمرٌ فِطْريٌّ، وما يحصُل لبعض الناس في قضية الإقرار بالخالق إنما هو نِتاجُ فساد الفطرة، وهو لا ينفي ثبوتَها، ولِذا ومَن كان هذا حالَه ربما احتاج للنظر

---

(١) ابن تيمية، الفتاوى، ٧٠/١.
(٢) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ٥٣٢/٨-٥٣٣.

والاستدلال حتى يَصِلَ إلى الإقرار بالصانع؛ فإنَّ هذه المعرفة تارَةً تحصُل ضرورةً وتارةً تحصُل بالنظر»(١).

وقد استدل رحمه الله على فطرية توحيد الألوهية بقوله صلى الله عليه وسلم. - صلى الله عليه وسلم -: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»(٢).

ثم يقول ابن تيمية: «فالصوابُ أنها فطرةُ الله التي فطر الناسَ عليها، وهي فطرةُ الإسلام، وهي الفطرةُ التي فطرهم عليها يوم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. وهي السلامةُ من الاعتقادات الباطلة، والقَبُولُ للعقائد الصحيحة. فإنَّ حقيقة الإسلام أن يَستسلم لله لا لغيره، وهو معنى لا إله إلا الله، وقد ضرب رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - مثل ذلك فقال: «كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟»(٣). بيَّن أنَّ سلامة القلب من النَّقص كسلامة البدن، وأنَّ العيب حادثٌ طارئ.

وفي صحيح مسلم عن عِياض بن حِمار(٤) قال: قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -، فيما يروى عن الله: &«إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، فَاجْتَالَتْهُمْ

---

(١) تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ٢١١/١.

(٢) صحيح البخاري (ح٦٥٩٩)، كتاب الجنائز، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، ص١٦٣٦، وصحيح مسلم (ح٢٦٥٨)، كتاب القدَر، باب معنى كل مولود يولد على الفِطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ٢٠٤٧/٤.

(٣) هو تكملة الحديث السابق حديث الفطرة.

(٤)هو: **عِياض بن حِمَار** بن محمّد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن التميم. الطبقات الكبير. ((عيَاض بن حِمَار بن أَبي حِمَار بن ناجية بن عِقَال بنُ مُحمَّد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي المجاشعي. كذا نسبه خليفة بن خياط. وقال أَبو عبيدة: هو عياض بن حمار بن عَرْفجة بن ناجية.)) ((أَخرجه الثلاثة يعني: ابن عبد البر، وابن منده، وأبا نعيم إلا ابن منده قال: "عياض بن حمار بن مخمر، بالخاء المعجمة وآخره راءٌ. وهو تصحيف، وإنما هو "محمد" باسم النبي صَلَّى الله عليه وسلم، يجتمع والأقرع ابن حابس في عِقال بن محمد بن سفيان، وهذا نسب مشهور، وقد أَسقط ابن منده مع التصحيف عدة آباء)) أسد الغابة. ((وفد على النّبيّ صلى الله عليه وسلم، قبل أن يسلم ومعه نَجِيبَة يهديها إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، فقال: "آسلمتَ؟" قال: لا: قال: "إنّ الله نهانا أن نقبل زَبْد المشركين". قال: فأسلم فقبلها =

الشَّيَاطِينُ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْت لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أن يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا»[(١)] ولهذا ذهب الإمامُ أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المشهور عنه: إلى أنَّ الطِّفل، متى مات أحدُ أبويه الكافرين، حُكم بإسلامه؛ لزوال الموجِب للتغيير عن أصْل الفطرة»[(٢)].

ثالثًا- الاستدلال بدليل الخَلْق، والمتضمَّن دليل العناية:

في القرآن الكثيرُ من الآيات التي يبيِّن فيها ﷻ أنه أوجد الإنسان من العدم، وأنه أنعم عليه بنِعَمٍ ظاهرةٍ وباطنة، ومُقتضى ذلك أن الإنسان لا يعبُد إلا اللهَ وحده ﷻ؛ إذْ هو خالقُه ومدبِّره ورازقه.

ومن الآيات الدالَّة على توحيد الألوهية من خلال دليل الخلق والعناية قولُه تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ١-٣].

=رسول الله ﷺ، فقال: يا نبيّ الله، الرجل من قومي من أسفل مني يشتمني أفأنتصر منه؟ فقال: "المستبّان شيطانان يتكاذبان"((. وروي عنه أيضًا غير ذلك، ثمّ نزل البصرة فروى عنه البصريّون.)) الطبقات الكبير. ((كان صديقًا لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلم قديمًا، وكان إذا قدم مكّة لا يطوفُ إلّا في ثيابِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم، لأنه كان من الجملة الذين لا يطوفون إلا في ثوب أحمسي.)) الاستيعاب في معرفة الأصحاب.[1]) روى عنه مطرِّف ويزيد ابنا عبد الله بن الشخير، والحسن. أنبأنا الخطيب عبد الله بن أحمد الطوسي بإسناده عن أبي داود الطيالسي: حدثنا عِمران القطان. وهمام، عن قتادة ـــ قال عمران: عن مطرف بن عبد الله. وقال همام: عن يزيد بن عبد الله ـــ عن عياض قال: قلت: يا رسول الله، الرجل من قومي يشتمني، وهو دوني؟ فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: "الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَاذَبَانِ، فَمَا قَالاَ فَهُوَ عَلَى الْبَادِىءِ مِنْهُمَا حَتَّى يَعْتَدِيَ الْمَظْلُوم.

انظر: البحر الزخار للبزار، ج٨، ص٤١٨.

(١) صحيح مسلم (ح٢٨٦٥)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ٢١٩٧/٤-٢١٨٠.

(٢) ابن تيمية، الفتاوى، ٢٤٥/٤-٢٤٦.

وقد استدل ابن تيمية بهذه الآيات على أنَّ للعالم خالِقًا نقله مِن حالٍ إلى حال، وأنه - سبحانه - هو ربُّ هذا العالَم المخلوق، وهو خالقُه ومدبِّر أمره، ومصرِّفُ أحواله التي يجب على الإنسان العاقل أن يتفكَّر فيها؛ وذلك كتفكُّره في ظاهرة الموت والحياة، وظاهرة الرِّزق وتقسيمه بين الناس، وظاهرة المطر والرَّعد والبَرق والرِّياح، واللَّيل والنهار، وتصريف فصول السَّنة؛ من صيف وشتاء، وربيع وخريف، وما يتَّصف به كلٌّ منَّا من ظواهرَ تُلازمه وتَظهر آثارُها عليه[1]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الجاثية: ٣-٥].

يقول ابن تيميه في ذلك:" إذا نظرنا إلى الآيات القرآنية الكونية نرى أنها تنبه إلى دليلي الخلق والعناية في الكون، وهما دليلا الشرع، وقد يكو الدليلان معًا في الآية الواحدة، فآيات القرآن:

أ- إما أن تتضمن التنبيه على دليل الاختراع

ب- وإما أن تتضمن التنبيه على دليل العناية.

جـ- وإما أن تتضمن التنبيه على الدليلين السابقين معا.(١)انظر تلبس الجهمية(١٧٣/١).

ويمضي ابن تيمية بالاستلال بالآيات الكونية على ربوبية الله ومعرفته مستلا بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ [يس: ٧٧].

---

(١) انظر: تلبيس الجهمية ١٧٩/١٧٨/١.

ويدخل في هذا المعنى - كما بيَّن ابنُ تيمية - طلبُ معرفة منافع الأعضاء وتشريفها، ودراسةُ أغوار النَّفْس الإنسانية وصِفاتها، مِن لوَّامَةً وأمَّارةً ومطمئنةً ورضيَّة ومَرْضيَّة(١).

هذا في دليل الخَلْق، أمَّا في دليل العناية – فيستدل به به ابنُ تيمية لبيان آثارَ الكمال في الخَلْق، التي تَظهر في إتقانِه وربطِ بعضه ببعضٍ بروابطَ كونيَّة تدلُّ على أن لا خَلَلَ في نِظام هذه المخلوقات، ولا تفاوُتَ مستلزَمًا للنَّقص في ترتيبها - ودليلُه قوله تعالى ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۢ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣].

وقد مثَّل ابنُ تيمية لدليل العناية بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ: ٦-١٦].

يقول ابنُ تيمية: فإذا نظرتَ في هذه الآيات الكونية - التي ذكرها اللهُ في هذه الآيات - فإنك ترى فيها مِن مظاهر إتقان الصَّنعة وجَوْدة الخَلْق وكمال الترتيب، ما يدلُّك على أن لها خالقًا وصانعًا قد أتقنها ورتَّبها، وجعلها على هذا النحو البديع(٢).

وهكذا فإننا نجد - عند تدبُّرنا آياتِ الكون - أن الله ﷻ ما خلق شيئًا عَبَثًا، وأن الحكمة ظاهرةٌ في كلِّ ما خلقه اللهُ؛ لقوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص: ٢٧].

يقول ابن تيمية، في تعليقه على هذه الآية: «وقال الجمهور من أهل السنَّة وغيرِهم: بل هو حكيمٌ في خَلْقه وأمره، بل الحكمةُ تَتضمَّن ما في خَلْقه وأمره من

---

(١) انظر: تلبيس الجهمية (١/١٧٣).
(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (ج١/١٧٤).

العواقب المحمودة والغايات المحبوبة»[1]. ثم حكا إجماعَ المسلمين على وصْفه بالحكمة.

ويستدل ابن تيميه على توحيد الربوبية بقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور: ٣٥].

ثم يقول في بيان هذه الآية: «إنَّ الإقرار بالربوبية سابقٌ على الإيمان بالألوهية؛ فإنَّ حاجتَهم إلى الربِّ الذي يقضي حوائجَهم أسبقُ من الإله المعبود»[2].

ولكن هل يكفي الإنسان أن يقر بتوحيد الربوبية دون إقراره بتوحيد الألوهية؟

الحق أن هذا لا يكفي الإنسان بل إن توحيد الربوبية المتضمن للخلق والعناية يجب أن يكون نافعا للإنسان لتوحيد ربه في ألوهيته، وهذا الأمر نجده مبثوثا في كثير مما كتبه شيخ الإسلام ابن تيميه فقد بين رحمه الله أن من المعلوم أن الإيمان بأنَّ الله وحْده هو الخالقُ الرازق المنعِم، المتصرِّفُ في هذا الكون بحكمته كما يشاء ﷻ،أن هذا هو معنى توحيد الربوبية، والذي هو مستلزِمٌ لتوحيد الألوهية؛ فمَن آمن بالله ربًّا واحدًا فلا بُدَّ أنْ يؤمن به إلهًا واحدًا لا شريكَ له، وبذلك نرى ان ابنُ تيمية قد استدل بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، و أنَّ من أقرَّ بتوحيد الألوهية فهو مؤمنٌ ومُقرٌّ بتوحيد الربوبية؛ إذْ إنَّ توحيد الألوهية متضمِّنٌ لتوحيد الربوبية، كما أن توحيدَ الربوبية مستلزِمٌ لتوحيد الألوهية، وفي ذلك يقول ابن تيمية: «الإلهيةُ تتضمَّن الربوبيةَ، والربوبيةُ تستلزم الإلهيةَ»[3].

وفي موضِعٍ آخَر قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإثباتُ الإلهية يوجب إثباتَ الربوبية، ونفيُ الربوبية يوجب نفْيَ الإلهية؛ إذ الإلهيةُ هي الغايةُ، وهي مستلزِمةٌ للبداية كاستلزام العلَّة الغائيَّة للفاعلية»[4].

ويقول: «إنما التوحيدُ الذي أمر اللهُ به العبادَ، هو توحيدُ الألوهية المتضمِّنُ توحيدَ الربوبية؛ بأنْ يعبُدوا الله ولا يُشركوا به شيئًا، فيكون الدِّينُ كلُّه لله،

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ١٤١/٢.
(٢) ابن تيمية، الفتاوى، ١٤/١٤.
(٣) ابن تيمية، الفتاوى، ٣٧٧/١٤-٣٧٩.
(٤) ابن تيمية، المرجع السابق، ٧٣/٢.

ولا يُخافون إلا الله، ولا يدعُون إلا الله، ويكون اللهُ أحبَّ إلى العبد من كلِّ شيء، فيحبُّون لله ويُبغضون لله، ويعبُدون الله ويتوكَّلون عليه»[1].

رابعًا- الاستدلال على توحيد الألوهية بأنه الأمر الرباني الأول الذي جاءت ببيانه جميع الرسل والأنبياء:

فقد بين الله - سبحانه - أنه ما ترك أمَّةً من الأُمَم إلا وأرسل إليها نذيرًا. يقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فاطر: ٢٤].

والأمرُ الأول الذي جاءت به الرُّسلُ جميعًا ولم تأت بغيره، هو الأمرُ بتوحيد الله في ألوهيته. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقد بيَّنت الرُّسلُ جميعًا لأقوامهم ما ذكره ◻ لخاتمهم - صلى الله عليه وسلم -؛ إذْ قال: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر:٦٥]، فلم تأتِ الأنبياءُ - عليهم السلام - إلا بالأمر بعبادة الله وحْده لا شريك له، ولم تأتِ قطُّ بعبادة غير الله. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠].

وبهذا نجدأن الله سبحانه وتعالى ◻ قد يبيِّن في كتابه الكريم وجوبَ عبادته وحْده ◻؛ بدليل أن كلَّ من أرسلهم لم يأتوا إلا بهذا التوحيد. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وهذه المعاني نجدها في مواضعَ عدَّة من كلام ابن تيمية من ذلك قوله:

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، (٦٢/٢).

والرُّسلُ إنما دَعَوُا الخَلْقَ إلى توحيد الإلهية، وذلك متضمِّنٌ لتوحيد الربوبية؛ لقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥]. وغيرُها من الآيات التي تبيِّن أنَّ جميع الرُّسل أرسلهم اللهُ للدعوة إلى توحيد العبادة، وإلا فمجرَّدُ توحيد الربوبية قد كان المشركون يُقِرُّون به، وذلك وحْده لا يَنفع[1].(١) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، (٩/٣٤٥).

خامسًا- الأدلة العقلية من خلال كلام شيخ الإسلام ابن تيميه:

استدلَّ ابن تيمية بالكثير من الأدلة العقلية التي تخاطب العقولَ بالحُجَّة والبرهان، وتؤكِّد وجوبَ توحيد الألوهية، وهي - في الوقت نفْسه - مستنبَطةٌ من كتاب الله ﷻ.

ومن أشهر الأدلَّة العقلية التي استدلَّ بها ابنُ تيمية ضربُ المثل من القرآن الكريم، ومثَّل له بقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الروم: ٢٨].

وقد ذكر ابنُ تيمية في بيان هذه الآية بقوله: «إذا كان الواحدُ منكم ليس له من مماليكه شريكٌ في ما رزقه اللهُ، بحيث يخاف ذلك المملوكَ كما يخاف السَّادةُ بعضُهم بعضًا، فكيف تَجعلون لي شريكًا هو مملوكي، وتجعلونه شريكًا فيما يختصُّ بي من العبادة والمخافة والرجاء، حتى تخافوه كما تخافوني.

ومن المعلوم أن مِلك النَّاس بعضهم بعضًا مِلكٌ ناقص؛ فإنَّ السيِّد لا يملك من عبده إلا بعضَ منافعه؛ لا يَملك عَينَه، وهو شبيهٌ بمِلك الرجل بعضَ منافع امرأته، ومِلكِ المستأجِر بعضَ منافع أجيره، ولهذا يُشبَّه النِّكاحُ بمِلك اليمين...

فإذا كان هذا المِلكُ الناقصُ لا يكون المملوكُ فيه شريكًا للمالك، فكيف بالمِلك الحقِّ التامِّ لكلِّ شيء؟ الملكِ المالك للأعيانِ والصِّفات، والمنافعِ والأفعال، الذي لا يخرُج عن ملكه شيءٌ بوجْهٍ من الوجوه، ولا لغيره ملكٌ مفرَد، ولا شريكٌ في

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى

ملكٍ ولا مُعاوَنةٍ له بوجْهٍ من الوجوه، كيف يَسُوغ في مثْل هذا أن يَجعل مملوكَه شريكَه بوجْهٍ من الوجوه؟»[1].

ومن الدلائل العقلية الشرعية على توحيد الألوهية- التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية - قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة سبأ: ٢٢].

ووجهُ دلالة هذه الآية - عند ابن تيمية - أنَّ هؤلاء الذين يدعون من دون الله لا يخرُجون عن ثلاثة تقادير:

أولاً: أن يكونوا مالِكين للخَلْق من دونه.

ثانيًا: أن يكونوا شركاءَ له.

ثالثًا: أن يكونوا أعوانًا وظُهَراءَ.

وهذه التقديرات كلُّها فاسدةٌ؛ فهو - سبحانه - ليس لِـخَلْقه مَلِكٌ غيره، وليس له شريكٌ ولا مُعينٌ ولا ظهير، وإذا بَطَلَت كلُّ هذه التقديرات ثبت التقديرُ الرابع، وهو أنه - سبحانه - لا شريكَ له، بل هو الإلهُ دون سِوَاه، وإذا ثبت ذلك بطل الشِّركُ»[2].

ومن الاستدلالات العقلية كذلك المستنبَطة من كلام الله والتي أوردها شيخ الإسلام استدلالُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [سورة النحل: ٧٦].

فيبيِّن ابنُ تيمية أن هذه الآية تدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ الأوثان التي يعبُدها المشركون - والتي مَثَلُها كمَثَلِ الرجُل الأبكم الذي لا يَقدِر على شيءٍ، ژ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ژ [سورة النحل: ٧٦]- هذه

---

(١)انظر بتصرف ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ٣٨٩/٧-٣٩٠.
(٢) ابن تيمية، الفتاوى، ١١٤/٣١.

الأوثان (ليست كربِّ العالمين؛ لِثُبوتِ النقص لها من كلِّ وجه، والكمالُ ثابتٌ لله من كلِّ وجه، فيكون هو المستحِقَّ لِأنْ يُعبد دون سَوَاه)[1].

ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الإسراء: ٤٢].

فاللهُ - عزو وجل - يبيِّن لعباده - كما ذكر ابن تيمية - أنَّ هذه المعبودات التي يعبدونها من دونه سبحانه، هي في حقيقة أمرها تَتوجَّه إليه بالعبادة سبحانه، فكيف نَتوجَّه نحن لها بالعبادة وهي لا تعبُد إلا اللهَ وحْده؟ فإذا كان هذا حالَ معبودات المشركين فكيف للعاقل ألَّا يَتوجَّه إلى الله مباشرةً دون تلك المعبودات الباطلة[2].

وفي الجمع بين الدليل العقلي والدليل الوِجْداني يقول ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الإنسان خُلق محتاجًا لِجَلْب ما ينفعه ودفْع ما يَضرُّه، ونفْسُه مريدةٌ دائمًا ولا بُدَّ لها من مرادٍ يكون غايةَ مطلوبها لِتسكُنَ إليه وتَطمئنَّ به، وليس ذلك إلا لله وحْده؛ فلا تطمئنُّ القلوبُ إلا بالله، ولا تَسكُن النُّفوسُ إلا إليه»[3].

ومن الاستدلالات العقلية أيضا على توحيد الألوهية دليلُ التَّمانُع في الربوبية:

فإذا ثبت أنْ ليس للعالَم إلا ربٌّ واحدٌ، فإنَّ هذا يستلزم - كما سبق بيانه - ألا يكون له إلا إلهٌ واحد، وقد بيَّن ابنُ تيمية هذا الدليلَ بيانًا واضحًا جليًّا، فذكر أنه يَمتنع عقلًا وشرعًا وجودُ فاعلَين تامَّي القُدرة والإرادة في مفعولٍ واحد، هُما عليه تامَّا القُدرة والإرادة؛ لأنَّ من كان تامَّ القدرة والإرادة والاستقلال بالفعل وجب وجودُ المفعول له وحْده، وإذا قدِّر اثنان مريدان لأمرٍ من الأمور فلا بُدَّ من أمرين: إمَّا أنْ ينفرد كلُّ واحد منهما بخَلْقه وإيجاده، فهذا ممتنعٌ عقلًا؛ لِمَا يُعلم يقينًا من ترابُط هذا الكون وانتظام أمره، ممَّا يدلُّ على أنَّ له ربًّا واحدًا ومُوجِدًا واحدًا، لا شريكَ له ولا مثيلَ ولا نظيرَ، وإمَّا أن يَعلُوَ بعضُهم على بعض، فلا يرضى كلٌّ منهما بوجود الشَّريك في الخَلْق، وهذا أيضًا ممتنعٌ في حقِّ الله؛ لأنَّه لو كان الأمرُ كذلك لفسدت السماواتُ والأرض؛ لِمَا سيقع من الشريكين من

---

(١) ابن تيمية، الفتاوى، ١٤/٦٥-٦٧.
(٢) ابن تيمية، المرجع السابق، ١٤/٦٣.
(٣) ابن تيمية، المرجع سابق، ١/٥٥.

التنافُس على المُلك؛ لقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩][(١)].

فتبيَّن أنه لا يمكن اجتماعُ فاعلَين تامَّي القُدرة والإرادة في مفعولٍ واحد؛ لأنه يستلزم وجودَ النقيض؛ فعند اختلافهما مثلًا في أنْ يريد أحدُهما تحريكَ جسمٍ والآخَرُ تسكينَه، أو يريد أحدُهما إحياءَه والآخَرُ إماتتَه، فإمَّا أن يحصُلَ مرادُهما، أو لا يحصُلَ مرادُ واحدٍ منهما، والأوَّلُ ممتنعٌ؛ لأنه يَلزَم خُلُوُّ الجسم عن الحركة والسكون، كما أنه أيضًا يَستلزم عجزَ كلٍّ منهما، والعاجزُ لا يكون إلهًا، وإذا حصل مرادُ أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإلهَ القادرَ، والآخَرُ عاجزٌ لا يصلُح للإلهية. ودليلُ ذلك قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۢ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١][(٢)].

ومن الاستدلالات العقلية أيضًا على توحيد الألوهية عند ابن تيمية الاستدلالُ بدليل التمانع في الألوهية: والذي ورد في قوله: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقد بيَّن ابنُ تيمية خطأَ من تأثَّر بعلم الكلام عندما ظنَّ أن هذه الآية تدلُّ على التمانع في الربوبية؛ لأن هذه الآية تتحدَّث عن التمانُع في الألوهية، وقد سبق بيانُ أن توحيد الألوهية ليس هو توحيدَ الربوبية، وإن كان متضمِّنًا له.

ودليلُ التمانع في الألوهية في هذه الآية - كما بيَّنه ابنُ تيمية - نجده في قوله: «وذلك أن القادرَ على الضِّدَّين يفعل كلًّا منهما بمشيئته، وإذا فعل أحدَهما لم يكن عاجزًا عن فِعل الآخَر، لكنه قادرٌ عليه إنِ اختاره، والجمعُ بينهما ممتنعٌ لِذاته- وهو- ليس بشيءٍ، وذلك لا ينافي القُدرةَ بوجهٍ من الوجوه؛ فإنَّ الفاعل لأحد الضِّدَّين يختار هذا دون ذاك، فلم يكن عدمُه إلا لكونه لم يُرِدْه، لا لأنَّ غيره مَنَعَه منه، ولا أنَّ قُدرته عاجزةٌ عنه إذا أراد أن يَفعلَه، بخلاف القادر إذا قيل: إنه لا يُمكِنه الفعلُ إلا إذا أمكنه غيرُه، ولم يُرِدْ أن يَفعل معه، ولو أراد الآخَرُ أنْ يَفعل

(١) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ٣/٣٠٥.
(٢) ابن تيمية، الفتاوى، ٢٠/١٧٤-١٨٠، ودرء تعارض العقل والنقل، ٩/٣٦٢.

ما فعله لم يَقدِر أن يَفعله هو؛ فإنه حينئذ لا يكون قادرًا بنفْسه، بل يكون غيرَ قادرٍ حتى يُمكِّنَه الآخَرُ، ويَمتنع من أن يَفعلَ ما يَفعله.

ويبيِّن ابنُ تيمية دلالةَ الآية بقوله: «وأنَّ إثبات ربَّين للعالَم لم يَذهب إليه أحدٌ من بني آدم، ولا أثبت أحدٌ إلهَين متماثلَين ولا متساويَين في الصِّفات ولا في الأفعال، ولا أثبت أحدٌ قديمَين متماثلَين، ولا واجِبَي الوجود متماثِلَين، ولكنَّ الإشراكَ الذي وقع في العالم إنما وقع بجعلِ بعض المخلوقات مخلوقةً لغير الله في الإلهية؛ بعبادةِ غير الله تعالى، واتِّخاذِ الوسائط ودُعائها والتقرُّب إليها؛ كما فعل عُبَّادُ الشمس والقمر والكواكب والأوثان، وعُبَّادُ الأنبياء والملائكة أو تماثيلِهم ونحو ذلك، أمَّا إثباتُ خالقَين للعالَم متماثلَين فلم يَذهب إليه أحدٌ من الآدميِّين.

كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]

وقال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

القواعد العقدية المستنبطة من كلام ابن تيمية في الاستدلالات الكونية على توحيد الألوهية:

- أن الأمر بتوحيد الألوهية قد ورد في أدلة القرآن والسنة في نصوص كثيرة جدا ومتنوعة.
- أن توحيد الألوهية يشمل الأمر بعبادة الله وحده والتوكل عليه وحده ودعاءه وحده سبحانه وحبه وخشيته ،المحبة والخشية التي لا تجوز إلا لله تعالى إلى غير ذلك من مفردات توحيد الألوهية الواجبة له وحده جل وعلا.
- أن الدعاء سواء كان دعاء عبادة أو دعاء مسألة او استعانة لا يجوز إلا لله.
- أن أول أمر بعث الله به الأنبياء والرسل هو توحيد الألوهية فهو دين الإسلام الذي لا يقبل الله سواه.
- أن توحيد الله وإخلاص الدين له هو أول الإسلام وآخره.
- أن النية هي عمل القلب وهي أصل العمل فلا يقبل توحيد الألوهية إن لم يكن نابعا من قلب الإنسان.
- أن إخلاص الدين لله ومتابعة الرسول هي مقتضى

- أنه لما كان أصل الدين الشهادتين فقد كانت هذه الأمة لها وصف الشهادة لقوله:"فاكتبنا مع الشهدين"
- أن جميع بني آدم يشعرون بحاجتهم وفقرهم إلى الله وهذه الحاجة تظهر حتى لدى المشرك عند المصائب التي تؤدي به إلى الهلاك.
- أن شعور الإنسان بحاجته وفقره إلى ربه جل وعلا تابع لشعوره بوجوده وإقراره.
- أن الإقرار بالصانع أمر فطري.
- أن ما يحدث لدى بعض الناس من الانحراف في مسألة الإقرار بالخالق إنما هو من نتاج فساد الفطرة وذلك لا ينفي ثبوتها ومن كان هذا حاله فهو محتاج للنظر والاستدلال حتى يقر بالخالق.
- أن الصواب في معنى الفطرة التي فطر الله عليها العباد أنها فطرة الإسلام وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول بالاعتقادات الصحيحة.
- أنه توجد بعض الأحكام الفقهية المستندة إلى دليل الفطرة ومن ذلك ما ذهب إليه الإمام أحمد في المشهور عنه أن الطفل متى مات احد أبويه الكافرين حكم بإسلامه.
- أن توحيد الربوبية يتضمن دليلي الخلق والعناية فالله وحده هو الخالق وهو وحده المنعم الرازق.
- أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية ودليل عليه.
- أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية.
- أن توحيد الألوهية قد دلت عليه الأدلة العقلية والمستنبطة من النصوص الشرعية.
- أن من الاستدلالات العقلية على توحيد الألوهية الأمثلة التي تخاطب العقل والتي تبين وجود هذا التوحيد
- -أن من الأدلة العقلية على توحيد الإلوهية أنه إذا كان في ملك البشر الناقص لا يكون المملوك شريكا في امتلاك ذاته لمالكه رغم أن ملك العباد بعضهم لبعض ملك ناقص فالله الملك الحق التام لكل شي أولى بان لا يكون له شريك ملكه.

المطلب الثالث: نواقض توحيد الألوهية عند ابن تيمية والقواعد المستنبَطة من ذلك

تعريف النواقض، وأنواعها:

النَّواقضُ لغةً: جمعُ ناقِضٍ، اسم فاعل مِن نَقَضَ يَنقُضُ نَقْضًا. والنَّقضُ: هو إفسادُ ما أُبْرِمَ من حَبْلٍ، أو بِناءٍ، أو عهدٍ، أو غيرِه.

يقال: نَقَضَ البناءَ، إذا هَدَمَه، ونقض اليمينَ أو العهدَ، إذا نَكَثَه، ومِن ذلك قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧].

وانتقض الشيءُ: فَسَدَ بَعد إحكامه. يقال: انتقض الوُضوءُ: بَطَلَ.

وانتقض الجُرْحُ بَعد بُرْئه، والأمرُ بعد التئامِه: فَسَدَ.

وعلى هذا فالنَّواقضُ لُغةً: كلُّ ما يُفسِد الشَّيءَ ويُبطِله[(١)].

والنَّواقض هنا: اعتقاداتٌ، أو أقوالٌ، أو أعمالٌ تُناقض حقيقةَ التوحيد، وتُوجِب الخروجَ من المِلَّة[(٢)].

ونواقض توحيد الألوهية لا أنه كما سبق هو جوهر الإسلام هي مُفسِداتُه ومُبطلاتُه التي متى طرأتْ عليه أفسدتْه وأحبطت العملَ، وصار صاحبُه من المخلَّدين في النَّارِ والعياذُ بالله؛ كالحدث إذا دخل في الطهارة أفسدها وأبطلها.

ونواقض توحيد الألوهية بالكلية يطلق عليها :الشِّركُ الأكبر،وهو الشرك المخرج من الملة والذي يخلد صاحبه في النار.

قال ابن تيمية: «فأمَّا الشِّركُ في الإلهية فهو أن يَجعل لله ندًّا - أي: مثلًا - في عبادته أو محبَّته، أو خوفه أو رجائه، أو إنابته، فهذا هو الشِّركُ الذي لا يَغفره

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ، ٧٠٥/٣، (٥٨/١)، والكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى، (مجموعة من علماء نجد الأعلام، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، الناشر: مطبعة المنار - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٤٤هـ - ١٣٤٩هـ)، ٨٥٣/٤.

(٢) انظر: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، تحقيق: محمد بن سعد الشويعر، الناشر: دار القاسم للنشر، ١٤٢٠هـ، ١٣/٨.

اللهُ إلا بالتوبة منه، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وهذا هو الذي قاتَل عليه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - مشركي العرب لأنهم أشركوا في الإلهية. قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [ص: ٥]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ق: ٢٦].

وقد أكد ابن تيمية على حقيقة أن جميع الرسل والأنبياء إنما جاءوا بالأمر بعبادة الله

وحده ولم يأت أحد منهم بالأمر أو الدعوة إلى عباده غير الله تعالى فقال رحمه الله: «والقرآنُ الكريم مِن أوَّله إلى آخِره، وجميعُ الكتب والرُّسل، إنما بُعثوا بأنْ يُعبد اللهُ وحْده لا شريكَ له، وأن لا يجعلوا مع الله إلـهًا آخَر»(١).

وأوضح شيخ الإسلام أن كل ما يدخل في مسمى العبادة وتوحيد الألوهية فلا يجوز صرفه لغير الله تعالى وإلا كان ذلك من الشرك الأكبر فقال رحمه الله:"فالعبادةُ والاستعانةُ وما يدخُل في ذلك من الدُّعاء والاستغاثة والخَشْية والرجاء والتوكُّل والاستغفار، كلُّ هذا لله وحْده لا شريكَ له؛ فالعبادةُ متعلِّقةٌ بألوهيَّته، والاستعانةُ متعلِّقةٌ بربوبيَّته، بل أكبرُ الكبائر الإشراكُ بالله وأن تَجعلَ له ندًّا وهو خَلقك، والشِّركُ أن تَجعل لغيره شِركًا - أي نصيبًا - في عبادتك وتوكُّلك واستعانتك»(٢).

فالشِّركُ - كما وضَّحه ابنُ تيمية - أنْ يَجعلَ لغير الله حقًّا فيما هو من خصائصه سبحانه، بحيث يَدَّعي أنه يماثله أو يقاربه فيها.

---

(١) ابن تيمية، الفتاوى، ٩١/١.
(٢) ابن تيمية، الفتاوى، ٧٠/١، ٧١-٧٤.

ثم إنَّ الشِّرك عند ابن تيمية نوعان[1]:

النوع الأول: شِركٌ في الألوهية، وهو بأن تجعل لله ندًّا في عبادته، تدعُوه وتتوكَّل عليه، وتخشاه وتحبُّه؛ سواءٌ اعتقدتَ مساواتَه أَمْ لا، أو مقاربتَه أَمْ لا.

النوع الثاني: شِركٌ في الربوبية؛ وذلك بأن تجعل لله شريكًا في خصائص رُبوبيَّته؛ كالـمُلك والتدبير، والهداية، والرِّزق والخَلْق، ونحو ذلك، أو تجعله متَّصفًا بصفاتِ جلاله وكماله؛ مِن سمعِه وبصرِه وكلامه سبحانه، ونحو ذلك. ويبيِّن ابنُ تيمية أنَّ أكثر النِّقاش مع المشركين في القرآن الكريم إنما كان في قضية الشِّرك في الألوهية؛ لأنه هو الذي وقع فيه الخصومةُ بين الأنبياء وأُمَمهم. ثم إنَّ ابن تيمية يَنصُّ على أن الشِّرك أكبرُ الكبائر، وأعظمُ ذنبٍ عُصي اللهُ به، وأنه لا يغفره اللهُ[2]؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨].

وسوف نوضِّح بشيء من التفصيل في هذا المبحث وتُفصَّل أنواعُ الشِّرك في الألوهية المخرِج من الـمِلَّة استنباطًا من كلام ابن تيمية.

وابن تيمية ينبه على مسألة والتي ذكرها في قوله :«أصلُ الشِّرك أن تَعدِلَ بالله - تعالى - مخلوقاته في بعض ما يستحقُّه وحْده؛ فإنه لم يَعدِل بالله أحدٌ من المخلوقات في جميع الأمور، فمَن عبد غيرَه أو توكَّل عليه فهو مشرِكٌ»[3].

وعمومًا فإنَّ الشِّرك في توحيد الألوهية قد يكون في الاعتقاد، وقد يكون في الأعمال، وقد يكون في الأقوال.

ومن ثمَّ فإنه يمكن أن نقسِّم أنواعَ الشِّرك في الألوهية على النَّحو التالي:

أوَّلاً- الشِّرك في المسائل الاعتقادية:

وأول ما يدخل ضمن الشرك في المسائل الاعتقادية أن يعتقد الإنسان وجود أحد غير الله تعالى يستحق أي صورة من صور العبادة الواجبة لله وحده وهذا أمر ظاهر من خلال ما سبق بيانه.

---

(١) انظر: ابن تيمية، المرجع السابق، ٩١/١، واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص٣٥٦-٣٥٧، والاستقامة، ٣٤٤/١.

(٢) ابن تيمية، الفتاوى، ٨٨/١-٩١، واقتضاء الصراط المستقيم، ص٤٦٠١.

(٣) انظر: الاستقامة (٣٤٤/١).

ومن الشرك في المسائل الاعتقادية: مساواةُ غير الله بالله في التشريع والتحكيم، وقد يقع هذا الشِّركُ من العالِم الذي اتَّبع هواه، وأطاع غيرَ الله مِن حاكمٍ أو صاحبِ جاه؛ وذلك بأنْ يقوم هذا العالِمُ بتحليلِ ما حرَّم الله أو تحريمِ ما أحلَّ اللهُ؛ طمعًا في رئاسةٍ أو جاهٍ، أو قُربٍ من صاحبِ رئاسةٍ أو جاهٍ.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية «ومتى ترك العالِمُ ما عَلِمه من كتاب الله وسنَّة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، واتَّبع حكمَ الحاكمِ المخالفَ لحُكم الله ورسوله، كان مرتدًّا كافرًا يستحقُّ العقوبةَ في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ١-٣][(١)].

والطَّائعُ لِمن أحلَّ ما حرَّم الله، وحرَّم ما أحلَّ اللهُ، لا يخلو من حالَين:

الحال الأُولى: أن يطيعه في ذلك مع علْمه بتبديله لحُكم الله ومخالفته للرُّسل، فيَعتقد مع ذلك تحريمَ ما أحلَّ اللهُ وتحليلَ ما حرَّم اللهُ؛ اتِّباعًا له؛ فهذه الحالةُ شِركٌ أكبرُ مخرِجٌ من الملَّة.

الحال الثانية: أن يطيعه في ذلك مع اعتقاده تحريمَ ما حرَّم الله، وتحليلَ ما أحلَّ الله، ولكنَّ طاعته له في ذلك عن هوًى وعصيانٍ، مع اعترافِه بذَنْبه وأنه عصى اللهَ في ذلك، فهذا حالُه حالُ أهل الذنوب والمعاصي[(٢)].

فمَن اعتقد أنَّ لأحدٍ من الناس - سواءٌ كانوا علماءَ أو حكامًا أو غيرَهم - حقًّا في التشريع (التحليل والتحريم) مِن دون الله أو مع الله، فقد أشرك مع الله إلهًا آخَر، وقد قال الله عز وجل في أولئك: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١]، وهذا أيضًا يُسمَّى شِركَ الطاعات.

.و من الشرك في المسائل الاعتقادية شِركُ المحبَّة والتعظيم. قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن أحبَّ مخلوقًا كما يحبُّ الخالقَ، فهو مُشركٌ به، قد اتَّخذ من دون الله أندادًا يُحبُّهم كحُبِّ الله، وان كان مُقرًّا بأن الله خالقُه»[(٣)].

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٧٢/٣٥-٣٧٣.
(٢) ابن تيمية، المرجع السابق، ٧٠/٧.
(٣) ....مجموع الفتاوى ١٠-١٥٦

أما من أحبَّ مخلوقًا في الله، مع إخلاص عُبوديَّته لله وحْده، لكنه أحبَّ الصالحين في الله لـمَّا علم أن الله يحبُّهم، فكان حبُّه تبعًا لمحبَّة الله، فهذا من المحبَّة المشروعة، ولكن من أحبَّ مع الله مخلوقًا وجعله ندًّا لله يطيعه ويدعوه ويخاف منه، فذلك شِركٌ ناقضٌ للتوحيد[١].

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال $ابن القيِّم[٢]: «منزلة المحبَّة: وهي المنزلةُ التي فيها تَنافَس المتنافسون، وإليها شَخَصَ العاملون، وإلى علَمها شمَّر السَّابقون، وعليها تَفانى المحبُّون، وبِرَوْحِ نسيمها تَروَّح العابدون، فهي قُوتُ القلوب، وغذاءُ الأرواح، وقُرَّةُ العيون، وهي الحياةُ التي مَن حُرِمها فهو من جُملة الأموات، والنُّورُ الذي مَن فقده فهو في بِحار الظُّلمات، والشِّفاءُ الذي مَن عدِمه حلَّت بقلبه جميعُ الأسقام، واللَّذَّةُ التي من لم يَظفر بها فعَيشُه كلُّه هُمومٌ وآلام، وهي رُوحُ الإيمانِ والأعمال، والمقاماتِ والأحوال، التي متى خلتْ منها فهي كالجسد الذي لا رُوحَ فيه...»[٣]

فإن كانت المحبَّةُ محبَّةً طبيعيةً؛ كمحبَّة الجائع للطعام، ومحبَّةِ الوالدِ لولده، أو كمحبَّة الإخوة بعضِهم بعضًا؛فهذه التي تصلُح للخَلْق بعضِهم مِن بعض، ووجودُها فيهم لا يكون شِركًا في محبَّة الله؛ فقد كان رسولُ الله - صلى الله عليه

---

(١) ابن تيمية، <u>الفتاوى</u>، ١٠/٢٦٥-٢٦٧.

(٢) هو أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سَعد الزُّرْعي، المولود سنة ٦٩١هـ، والمشهور باسم (ابن قيِّم الجَوْزيَّة)، وهو فقيهٌ ومحدِّث ومفسِّر وعالم مسلم مجتهد، ومن أبرز أئمَّة المذهب الحنبلي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري،ومن مشايخه >ابن تيمية >وابن الشيرازي وغيرهم كثير له عدة مؤلفات من أهمها من كتاب:مدارج السالكين>وزاد المعاد وغيرها من المؤلفات وتوفي سنة ٧٥١ه
راجع ذيل العبر للذهبي (٥-٢٨٢).

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ)، <u>مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين</u>، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ٣/٦-٧.

وسلم - يحبُّ نساءَه، وعائشةُ أحبُّهن إليه، وكان يحبُّ أصحابَه، وأحبُّهم إليه الصِّدِّيقُ (٣)

أمَّا المحبَّةُ التي تستلزم الذُّلَّ والخضوعَ وكمال الطاعة، فهذه المحبَّةُ لا تصلُح إلا لله، ومتى أحبَّ العبدُ بها غيرَه كان شِركًا لا يغفره اللهُ - جلَّ وعَلا - إلا بالتَّوبة منه، ومِثْلُ المحبَّة الخوفُ والرجاءُ والتوكُّلُ القلبي، وسائرُ أعمال القلوب وعباداتُها، والتي لا يجوز أن تُصرَف إلا لله تعالى، ولو صُرفت كلُّها أو بعضُها لغيره لَكانتْ من الشِّرك الذي لايغفره اللهُ. قال ابنُ تيمية: «معرفةُ الله ومحبَّتُه مقصودة لِذاتها، وأن الله - سبحانه - محبوبٌ مستحِقٌّ للعبادة لِذاته، لا إله إلا هو»[(١)].

ثانيًا- الشِّرك في المسائل العملية:

وهو يتناول الشِّركَ في أعمال العبادات التي يؤدِّيها الإنسانُ بجوارحه، والشِّركُ في هذه الأعمال يكون بأن يَتوجَّه العبدُ بأنواع العبادات العملية التي هي من حقِّ الله وحْده؛ كالرُّكوع والسُّجود، والنَّذر والذَّبح، وغيرها من أنواع العبادات العملية، يَتوجَّه بها العبدُ لغير الله تعالى. وإذا نظرنا إلى حال بني آدم عبر التاريخ فإننا نجد أن بدايات هذا النَّوع من الشِّرك في بني آدم كان في قوم نُوح عليه السلام. قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: «كان بين آدمَ ونُوحٍ عَشَرةُ قرونٍ كلُّهم على الإسلام»[(٢)]. وقد ثبت في الصحيح أنهم يقولون يوم القيامة: «يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إلى أَهْلِ الأرض»[(٣)].

ولهذا لم يَذكُر اللهُ في القرآن رسولًا قبل نُوح عليه السلام، ولا أُمَّةً أهلكها اللهُ قبل أمَّته، وقد قال - تعالى - في قصَّته: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤)﴾ [نوح: ٢٣-٢٤]. نكمل رب انهن اضللن. .."/

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠-٦٠٧

(٢) ابن جرير، جامع البيان (ح٤٠٤٨)، (٢٧٥/٤)، ومستدرك الحاكم (ح٤٠٥٧)، كتاب تواريخ المتقدِّمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكْر نوح النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، (١٢/٥). قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيح على شرط البخاري، ولم يخرِّجاه»، ووافقه الذهبيُّ، وخرَّجه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٨٩) (٨٥٢/٧-٨٥٤).

(٣) صحيح البخاري (٤٤٧٦)، كتاب التفسير، باب قول الله: ژ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ژ، (ص١٠٩٥-١٠٩٦)، وصحيح مسلم (١٩٣)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها، (١٨٠/١-١٨١)، مُطوَّلاً، باختلاف يسير.

قال طائفةٌ من السَّلف، منهم $محمدُ بن كَعْبٍ القُرَظِي[1]: «هذه أسماءُ قومٍ صالحين كانوا بين آدمَ ونوح، فلمَّا ماتوا كان لهم أتباعٌ يَقتدون بهم ويأخُذون بعدهم بأخذهم في العبادة، فجاءهم إبليسُ فقال لهم: لو صوَّرتُم صُوَرَهم كان أنشطَ لكم وأَشْوَقَ إلى العبادة، ففعلوا، ثم نشأ قومٌ بعدهم فقال لهم إبليسُ: إن الذين من قبلكم كانوا يعبُدونهم، فعبدوهم». [2].

فابتداءُ عبادة الأوثان كان من ذلك، وسُمِّيتْ تلك الصُّوَر بهذه الأسماء لأنهم صوَّروها على صُوَر أولئك القوم من العباد.

وقد ورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: صارت الأوثانُ - التي كانت تُعبد في قوم نوح - في العرب تُعبد، أمَّا وَدٌّ فكانت لِكَلْبٍبدُومَة الجَنْدَل، وأمَّا سُوَاعٌ فكانت لهُذَيل، وأمَّا يَغُوثُ فكانت لمُراد ثم لِبني غُطَيْف بالجَوْف عند سَبَأ، وأمَّا يَعُوقُ فكانت #لهَمَدان، وأمَّا نَسْرٌ فكانت لحِمْيَر لآل ذي الكُلَاع[3].

فالصُّورة الأُولى للشِّرك في العبادات العملية كانت هي عبادةَ الأصنام، وقد أضلَّت أكثرَ البشريَّة. قال - تعالى - عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥]

وتوجد صُورةٌ أخرى من صُور شِرك العبادات، وهي التي تَوجَّه أصحابُها لعبادة الكواكب؛ فكانوا يصنعون #طَلَاسِمَ[4] للكواكب، ويَتحَرَّون الوقتَ المناسب

---

(١) هو محمد بن كعب بن حَيَّان بن سُليمٍ، الإمامُ، العلَّامة، الصَّادق، أبو حمزة - وقيل: أبو عبد الله - القُرَظيُّ، المدنيُّ، من حلفاء الأَوْس، وكان أبوه كعبٌ من سَبْي بني قُرَيْظَة، سكن الكُوفةَ ثمَّ المدينَة. قيل: وُلد محمدُ بن كعبٍ في حياة النّبيّ - صلى الله عليه وسلم -، ولم يصحَّ ذلك. من كتاب سير أعلام النبلاء، للذهبي (٦٥/٥).

(٢) انظر: الدرر المنثور، للسيوطي (٢٦٩/٦) نقله عن محمد بن كعب القُرَظي.

(٣) صحيح البخاري (٤٩٢٠)، كتاب التفسير، باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ [نوح: ٢٣]، (ص١٢٤٨).

وجاء في فتح الباري للحافظ ابن حجر قولُه: «أمَّا وَدٌّ فكانت لِكَلَبٍ بدُومَة الجَنْدَل». قال ابنُ إسحاق: وكان لكلبِ بن وَبَرَة بن قُضَاعة. ودُومَة بضمِّ الدال، والجَنْدَلُ، بفتح الجيم وسكون النون: مدينةٌ بالشَّام ممَّا يلي العراقَ. وأمَّا سُوَاعٌ فكانت لهُذَيل» زاد أبو عبيدة: ابنِ مُدْرِكَةَ بن إلياسَ بن مُضَرَ، وكانوا بقُرب مكة. وقال ابن إسحاق: كان سُوَاعٌ بمكانٍ لهم يقال له رُهَاط، بضمِّ الراء وتخفيف الهاء، من أرض الحجاز مِن جهة الساحل.

(٤) الطَّلاسِمُ جمعُ طَلْسَم، وهو ما يَخطُّه الساحرُ من خطوطٍ بها ألغازٌ غامضةٌ ومُبهَمة، =

لصناعة ذلك الطَّلْسَم، ويصنعونه من مادَّةٍ تُناسب ما يرونه من طبيعة ذلك الكوكب، ويتكلَّمون عليها بالشِّرك والكفر، فتأتي الشياطينُ فتُكلِّمهم وتقضي بعضَ حوائجهم، ويُسمُّونها رُوحانيَّةَ الكواكب، وهي في الحقيقة الشَّيطانُ أو الشَّيطانة التي تُضلُّهم[1].

ويدخل في هذا النوع أيضا من الشِّرك توجيهُ شيء من العبادات العملية لبعض البشَر؛ كالصلاة والسجود والركوع؛ فمن صلَّى أو سجد أو ركع، أو انحنى لمخلوقٍ؛ محبَّةً وخضوعًا له وتقرُّبًا إليه، فقد وقع في الشِّرك الأكبر بإجماع أهل العلم. قال الله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: &«ما ينبغي لأحدٍ أن يَسجُدَ لأحدٍ»[2].

وقد ثبت عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الصحيح أنه قال: &«لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا»(٤) فنهاهم عن الجلوس على القبور، ونهاهم عن الصلاة إليها، أي: عن جعْلها قِبْلة»[3].(٥)انظر

وفي الصحيحين، عن عائشة رضي الله عنهارَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال في مرضِه الذي لم يَقُمْ منه: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، وفي رواية أخرى لللحديث ذكرت عائشة أن قبره لم يبرز لما ذكرته فقالت: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: &«ولَوْلا ذلك لَأُبْرِزَ قبرُه، ولكنْ خَشِيَ أن يُتَّخَذَ مسجدًا»[4]، وفي لفظٍ للبخاري: «غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أن يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»[5]، فلمَّا

=يدَّعي أنها تردُّ الأذى وتساعد على قضاء الحاجات. وفَكَّ طَلْسَمَه أو طَلاسِمَه: وضَّحه وفسَّره.من كتاب (معجم الغني).ص ج

(١) الردُّ على المنطقيين (ص ٢٨٦).

(٢) رواه ابن حبَّان (٤١٦٢)

(٣) صحيح مسلم (٩٧٢)، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، (٦٦٨/٢).

(٤) صحيح مسلم (٥٢٩)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصُّوَر فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، (٣٧٦/١).

(٥) صحيح البخاري (١٣٣٠)، كتاب الجنائز، باب ما يُكره من اتخاذ المساجد على القبور، (ص٣٢٠-٣٢١).

خشي الرسولُ أن يُتَّخذ قبرُه مسجدًا - كما فعلت النَّصارى بقبور الأولياء والصالحين - أمر بتسوية القبور، ونهى أن يُبرَز قبرُه عن غيره من القبور؛ سدًّا لِذَرِيعة الشِّرك. هنا مرجع

ومن أنواع الشرك الأكبر في العبادات العملية: الذَّبحُ لغير الله؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: &«لَعَنَ اللهُ مَن ذبح لغير الله»[١].

وصور ذبح الحيوان على أربعة أنواع:

١- ذبحُ الحيوانِ المأكولِ اللَّحم؛ تقرُّبًا إلى الله - تعالى - وتعظيمًا له؛ كالأُضْحِية، وهَدْيِ التمتُّع والقِرَان في الحجِّ، والذَّبحُ للتصدُّق باللحم على الفقراء، ونحو ذلك، فهذا مشروع، وهو عبادةٌ من العبادات.

٢- ذبحُ الحيوان المأكول لِضَيفٍ ونحو ذلك، فهذا مأمورٌ به إمَّا وجوبًا وإمَّا استحبابًا.

٣- ذبحُ الحيوان الذي يؤكل لحمه من أجل الاتجار بلحْمه، أو لأكْله ونحو ذلك، فالأصل في هذا أنه مباح.

٤- الذَّبحُ تقربًا إلى مخلوق، وتعظيمًا له، وخضوعًا له، فهذه عبادة - كما سبق - ولا يجوز التقرُّبُ بها إلى غير الله، فمَن ذبح تقرُّبًا إلى مخلوق وتعظيمًا له فقد وقع في الشِّرك الأكبر، وذبيحتُه محرَّمةٌ لا يجوز أكلُها[٢].

٥- ,ويقول ابن تيمية في قوله تعالى:""وما أهل به لغير الله"المائدة :٣ ظاهره أنه ما ذبح لغير الله تعالى، مثل أن يقال هذا ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود، فسواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم وقال فيه: باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه نحن، متقربين به إلى الله سبحانه، كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله، فإن عبادة الله سبحانه بالصلاة له والنسك له، أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح أو الزهرة، فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح والزهرة أو قصد به ذلك

---

(١) صحيح مسلم (١٩٧٨)، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى، ولعن فاعله، (١٥٦٧/٣)، وصحيح الأدب المفرد، للألباني (١٧/١٣)، باب لعن الله من لعن والديه، (ص٣٨).

(٢) قاعدة الأمور بمقاصدها (ص ٢٧).

أولى، وهذا يبين لك ضعف قول من حرم ما ذبح باسم غير الله، ولم يحرم ما ذبح لغير الله، كما قاله طائفة من أصحابنا وغيرهم، بل لو قيل بالعكس لكان أوجه، فإن العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقرباً به إليه لحرم، وإن قال فيه باسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين قد يتقربون إلى الكواكب، بالذبح والبخور ونحو ذلك، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان"اقتضاء الصراط المستقيم(٥٦٣/٢)

ومثْلُ الشِّرك في الذبح لغير الله الشِّركُ في النَّذْر، والزكاة، والصدقة،ونحو ذلك.

#**والنَّذر هو:** إلزامُ مكلَّفٍ مختارٍ نفْسَه عبادةً لله تعالى، غيرَ واجبة عليه بأصْل الشَّرع[١] .

كأن يقول: لله عليَّ نذرٌ أن أصومَ، أو أتصدَّق، أو أن أفعل كذا، وما شابه ذلك.

والنَّذرُ عبادةٌ من العبادات، لا يجوز أن يُصرف لغير الله تعالى، فمَن نذر لمخلوقٍ - كأنْ يقول: لِفلانٍ عليَّ نذرٌ أن أصوم يومًا، أو لقبر فلانٍ عليَّ أن أتصدَّق بكذا، أو إنْ شُفي مريضي أو جاء غائبي، للشَّيخ فلانٍ عليَّ أن أتصدَّق بكذا، أو لقبره علي أن أتصدَّق بكذا - فقد أجمع أهلُ العلم على أنَّ نذره محرَّمٌ وباطلٌ، وعلى أنَّ من فعل ذلك قد أشرك بالله - تعالى - الشِّركَ الأكبر المخرِجَ من الـمِلَّة[٢].

ومثْلُه إخراجُ الزكاة أو الصدقة إلى قبر الميِّت تقرُّبًا إليه؛ فهذا كلُّه مِن صَرْف العبادة الواجبة لله لغيره، وصاحبُه يُعدُّ ممَّن وقع في الشِّرك الأكبر[٣].

وهكذا بقيَّةُ العبادات؛ كالحجِّ والطَّواف، والتبرُّك، والتوبة؛ فهذه كلُّها عباداتٌ لا يجوز أن تُصرَف لغير الله، فمن صرف شيئًا منها لغير الله فقد وقع في الشِّرك الأكبر[٤].

ثالثًا- الشرك في المسائل القولية:

كمن يدعو غيرَ الله؛ سواءٌ كان دعاءَ عبادة أو دعاءَ مسألة، أو كأن يستغيثَ بغير الله، أو يستعينَ بغير الله، أو يستعيذَ بغير الله، فيما لا يَقدِر عليه إلا الله ﷻ؛ فقد وقع في الشِّرك أكبر، سواءٌ كان هذا الذي توجه له نبيًّا أو وليًّا أو

(١) الجرجاني، التعريفات، ص ٣٠٨.
(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٨٦/١.
(٣) ابن تيمية، المرجع السابق، ٧٥/١.
(٤) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ص٣٧٤.

غيرَ ذلك من المخلوقات. ولهذا قال الله تعالى عن الذين يدعُون غيره: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

فمن دعا غيرَ الله وهو يريد بالدعاء طلبَ نفعٍ أو دفعَ ضُرٍّ؛ كأن يطلُبَ من المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله، سواءٌ كان هذا المخلوقُ حيًّا أمْ ميِّتًا، نبيًّا أمْ وليًّا، مَلَكًا أمْ غيره، كأن يطلُب منه شفاءَ مريضه، أو كشفَ كَرْبه، أو أن يُغيثه، وغيرَ ذلك ممَّا لا يقدر عليه إلا الله، فهذا كلُّه شركٌ أكبر مخرجٌ من الملَّة بإجماع المسلمين[(١)]؛ لأنه دعا غيرَ الله، أو استغاثَ به، أو استعاذَ به، وهذا كلُّه عبادةٌ لا يجوز أن تُصرف لغير الله، بإجماع المسلمين، وصرفُها لغيره شركٌ، ولأنه اعتقد في هذا المخلوق ما لا يقدر عليه إلا اللهُ ﷻ، وهذا الدُّعاءُ يُسمَّى **(#دعاءَ مسألة)**.مرجع

وتوجد صُورةٌ أخرى من الشرك الأكبر في الدعاء، وهي أن يتوجَّه الإنسانُ بالدعاء لمخلوقٍ وهو ميِّتٌ أو غائبٌ، ويظنُّ أنه يسمعه، ويطلب منه أن يدعُوَ اللهَ - تعالى – له؛ فهذا أيضًا شركٌ بالله - تعالى - في الألوهية مخرِجٌ من المِلَّة؛ لِمَا فيه مِن دعاء غير الله، ولِمَا فيه من اعتقاد أن المخلوق يَعلم الغيب، وهذا كلُّه من صفات الله - تعالى - التي اختُصَّ بها، فاعتقادُ وجودها في غيره شركٌ مخرِجٌ من المِلَّة، وهذا الدعاء يسمى (دعاء عبادة).

ومثْلُ هذا الدعاء قد وقع فيه مشركوا العرب؛ إذ كانوا يتَّخذون الوُسَطاءَ والشُّفَعاء في الدعاء بينهم وبين الله تعالى، ويعتقدون أن الله - تعالى - لا يجيب دعاءَ من دعاه مباشرةً، بل لا بُدَّ من واسطةٍ بين الخَلْق وبين الله في الدعاء، وهذا في حقيقته دعاءٌ وشفاعةٌ شركيةٌ تُخرجُ صاحبَها من المِلَّة بالكُلِّية[(٢)].

وقد قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

قال ابنُ القيِّم مبيِّنًا شناعةَ هذا الشِّرك وعِظَمه: «ومن أنواعه - أي الشرك الأكبر - طلبُ الحوائج من الموتى، والاستغاثةُ بهم، والتوجُّهُ إليهم، وهذا أصلُ شِركِ العالَم؛ فإنَّ الميِّت قد انقطع عملُه، وهو لا يملك لنفْسه ضرًّا ولا نفعًا، فضلًا

(١) ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل، ٤٩٦/٤.
(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٢٦/١.

عمَّن استغاث به وسأله قضاءَ حاجته، أو سأله أن يَشفع له إلى الله فيها، وهذا مِن جهله بالشافع، والمشفوع له عنده»[1].

القواعد المستنبطة من نواقض توحيد الألوهية عند ابن تيمية:

- نواقض الإسلام في توحيد الألوهية هي مفسداته ومبطلاته التي تحبط العمل وتجعل صاحبها من المخلدين في النار.
- نواقض توحيد الألوهية بالكلية يطلق عليها الشرك الأكبر وهو أن يجعل لله ندا أي مثلا في عبادته أو محبته أو خوفه ورجاؤه وإنابته.
- الشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة منه.
- الشرك في الألوهية هو الذي قاتل عليه الرسول مشركي العرب.
- لم يأت أحد من الأنبياء بالأمر بعبادة غير الله تعالى كائنا من كان.
- أن كل ما يدخل تحت مسمى العبادة في توحيد الألوهية فلا يجوز صرفه لغير الله تعالى وإلا كان ذلك من الشرك الأكبر.
- الشرك أن يجعل لغير الله حقا فيما هو من خصائصه سبحانه بحيث يدعى انه يناسبه أو يقاربه فيها.
- الشرك في الألوهية هو بأن يجعل لله ندا في أي نوع من أنواع عبادته لله تعالى سواء اعتقد صاحبه مساواة أو مقاربة الشريك لله أم لم يتعقد.
- الشرك في الربوبية بألا يجعل لله شريكا فيما هو من خصائص ربوبيته أو أن يجعل أحدا غير الله متصفا بصفات جلال الله وكماله.
- معظم النقاش مع المشركين في القرآن الكريم إنما كان في قضية الشرك في الألوهية.
- الشرك في الألوهية هو الذي وقع فيه الخصومة بين الأنبياء وأممهم.
- الشرك أكبر الكبائر وأعظم ذنب عصي الله به.
- لم يُعدَل بالله أحد من المخلوقات في جميع الأمور.
- أن من لم يحكم بغير ما أنزل الله معتقدا تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله عالما بذلك فهذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة.
- أن من يحكم بغير ما أنزل الله إتباعا للهوى مع الاعتراف بالذنب فهذا يعتبر صاحبه من أهل الذنوب والمعاصي.
- من اعتقد أن لأحد من الناس حقا في التشريع من دون الله أو مع الله فقد أشرك مع الله إلهاً آخر.

---

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ص٣٤٦.

- من أحب مخلوقا كما يحب الخالق فهو مشرك به شركا ناقضاً للتوحيد ولو أقر بأن الله خالقه.
- لا يدخل في شرك المحبة: المحبة الطبيعية كمحبة الجائع للطعام، ولا المحبة في الله تعالى.
- المحبة التي تستلزم الذل والخضوع وكمال الطاعة لا تجوز إلا لله تعالى.
- سائر أعمال القلوب وعباداتها كالخوف والرجاء والتوكل لا تجوز أن تصرف لغير الله تعالى، وإلا لكان ذلك من الشرك الذي لا يغفره الله.
- الشرك في العبادات العملية يكون من خلال الأعمال التي يؤديها الإنسان بجوارحه ولا تجوز أن تكون لغير الله كالركوع والسجود والنذر والذبح.
- أول الشرك في بني آدم كان في قوم نوح.
- الصورة الأولى للشرك في العبادات العملية هي عبادات الأصنام.
- من صور الشرك في العبادات العملية الصلاة إلى القبور واتخاذها مساجد.
- لم يبرز قبره صلى الله عليه وسلم سدا لذريعة الشرك.
- من أنواع الشرك الأكبر في العبادات العملية الذبح لغير الله.
- النذر لغير الله شرك اكبر مخرج من الملة.
- إخراج الصدقة أو الزكاة إلى قبر الميت تقربا إليه شرك أكبر.
- الشرك الأكبر في الدعاء يشمل :دعاء العبادة ودعاء المسألة.
- من دعا غير الله وهو يريد طلب نفع أو دفع ضرٍّ فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك اكبر مخرج من الملة وهذا ه، دعاء المسألة.
- توجه الإنسان بالدعاء لمخلوق وهو ميت أو غائب؛ هو من الشرك الأكبر في الألوهية وهو مخرج من الملة؛ وهذا هو دعاء العبادة.

الخاتمة:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات

ففي ختام هذا البحث سأذكر أهم النتائج التي تضمنها الموضوع:

- أن الألوهية في المعنى اللغوي تعني عبادة الله وحده، ولذا فإن معنى الإله المستحق للعبادة.
- أن ابن تيمية اعتمد في تعريفه لتوحيد الألوهية على الكتاب والسنة.
- أن جميع الأمة والسلف الصالح أجمعوا على أن مدلول توحيد الألوهية أن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.
- أن من حقق توحيد الألوهية فله المنزلة والمكانة العظيمة عند الله.
- أن الاستدلال على توحيد الألوهية قد يكون بالقرآن أو السنة أو بالآيات الكونية التي تدل على هذا التوحيد، وقد تكون بالأمثلة أو الأدلة العقلية.
- أن توحيد الألوهية هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره.
- أن الإقرار بالصانع أمر جبلت عليه فطرة الإنسان، وما كان غير ذلك فهو من نتاج فساد الفطرة.
- آن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية.
- من أشهر الأدلة العقلية على توحيد الألوهية هو دليل التمانع في الربوبية.
- أن أعظم ناقض للتوحيد هو الشرك بالله.
- أن الشرك في توحيد الألوهية قد يكون في الأعمال كالحج والنذر والذبح وغيرها، وقد يكون في الاعتقاد كالمحبة والخوف والرجاء وقد يكون في الأقوال كالاستغاثة والاستعانة بغير الله.

التوصيات:

١. ضرورة نشر الوعي بالقواعد المستنبطة من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في توحيد الألوهية من قبل المتخصصين.
٢. ضرورة الرد على منكري رأي ابن تيمية في توحيد الألوهية من قبل

المتخصصين.

٣. الاستفادة من التطبيقات الخاصة بالقواعد المستنبطة من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في توحيد الألوهية في المجالات العبادية والحياتية المتعددة.

٤. الرجوع لأهل التخصص الدقيق فيما يتعلق بمسائل التوحيد حتى لا يقع سوء فهم أو خطأ فيما يتعلق به.

٥. عدم التصريح بالإفتاء في أمور العقيدة أو التحدث فيها سواء في المؤسسات الإعلامية أو التربوية إلا لأهل التخصص الدقيق فيها.

المقترحات:

١. دراسة عن القواعد العبادية المستنبطة من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في توحيد الألوهية

٢. دراسة عن القواعد الأخلاقية المستنبطة من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في توحيد الألوهية

٣. دراسة عن نقد ابن تيمية لمخالفي رأيه في توحيد الألوهية وما يترتب عليه من تطبيقات.

المراجــع :

١. إبراهيم أنيس، وعبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤.

٢. ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: غبد المحسن التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠.

٣. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبوحاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤. ابن عبد الهادي الحنبلي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٦. ابن منظور، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

٧. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مراقبة: محمد عبد المعيد ضان، جلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، ١٩٧٢.

٨. أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار: البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، د.ت.

٩. أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني: تفسير

عبد الرازق، تحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٠. أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١١. أبو طاهر، مجد الدين، محمد بن يعقوب الفيروزابادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٢. أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، طريق الوصول.

١٣. أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٤. أحمد بن الشيخ محمد الزرقا: شرح القواعد الفقهية، تحقيق: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم، دمشق، سوريا، ط٢، ١٩٨٩.

١٥. إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار ابن جزم، ٢٠٠٠.

١٦. البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (المتوفى: ٢٥٦هـ): صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

١٧. تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٨. تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: الاستقامة، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٩. تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢٠. تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢١. تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢٢. تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢٣. تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٤. تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٥. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي: الأعلام، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢.

٢٦. السيوطي، أبو الفضل، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير المأثور، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢٧. الشريف الجرجاني، الزين علي بن محمد بن علي (المتوفى: ٨١٦هـ)، التعريفات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٨. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي: المعجم المختص بالمحدثين، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ١٩٨٨.

٢٩. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (المتوفى: ٣١٠هـ)، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٠. عبد الرحمن بن ناصر السعدي: القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، تحقيق: محمد بن صالح العثيمين، مكتبة السنة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢.

٣١. عبد الرحمن بن ناصر السعدي: القول السديد شرح كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.

٣٢. عبد الرحمن بن ناصر السعدي: طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول، دار البصيرة، ٢٠٠٠.

٣٣. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، الناشر: دار ابن القيم، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ.

٣٤. عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، تحقيق: محمد بن سعد الشويعر، الناشر: دار القاسم للنشر، ١٤٢٠هـ.

٣٥. عبده زقيل، ترجمة مختصرة لبن أبي العز، الملتقى الفقهي، الشبكة الفقهية، تاريخ الدخول للموقع ٢٠١٩/١١/١٤ الساعة الثالثة عصراً.

٣٦. عمر بن علي البزار أبو حفص: الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٦.

٣٧. الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى، (مجموعة من علماء نجد الأعلام، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، الناشر: مطبعة المنار - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٤٤هـ - ١٣٤٩هـ).

٣٨. محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٩. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري: تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ٢٠٠١.

٤٠. محمد بن صالح العثيمين: التعليق على القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، موقع الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ٢٠١٥.

٤١. محمد راغب الطباخ الحلبي: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تحقيق: محمد كمال، دار القلم العربي بحلب، سوريا، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٤٢. محمد راغب الطباخ الحلبي: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، مطبعة دار القلم العربي، حلب، سوريا.

٤٣. محمود السيِّد: التتار والمغول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دون طبعة، ٢٠٠١م.

٤٤. محمود عمر محمد علي: القواعد والضوابط الفقهية من خلال كتاب المنتقى شرح موطأ الإمام مالك للباجي جمعًا ودراسة، ترجمة: عوض بن هلال العمري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ٢٠١٤.

٤٥. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٤٦. مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٣٠٦-٣٦١هـ)، صحيح مسلم، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ودار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٤٧. النووي، أبو زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، تخريج الأحاديث وتخريج أسماء الرجال لمصطفى عبد القادر عطا.